قاطع طريق



قاطع طريق
شعر
أحمد سواركة

الطبعة الأولى : شرقيات، 2012



5 ش محمد صدقي، هدى شعراوي.
الرقم البريدي 11111
باب اللوق، القاهرة
ت: 23902913، 23931548
Sharqiyat2010@yahoo.com

غلاف: أحمد كامل

سواركة، أحمد
قاطع طريق /أحمد سواركة – ط 1. - القاهرة: دار شرقيات للنشر والتوزيع، 2012.
108 ص ؛ 20x12 سم.
رقم الإيداع 10836/ 2012
تدمك ISBN 978-977-283-389-4
شعر – العنوان
ديوى 813

قاطع طريق

شعر

أحمد سواركة



إهداء:

لَيِس لأحدٍ

لأنني وَحْدِي

-1-

أَنَا وَالذِّئَابُ، نَحْشُرُ اللَّيْل فِي أَرْوَاحِنَا
نَعْوِي
لِتَصْفِيَةِ أَحْقَادٍ تُلِمُّ بِنَا
......
نَبْنِي سَعَادَتَنَا بِالْمُدَاوَمَةِ عَلَى نَهْشِ الْفَرِيسَةِ

-2-

بَعِيدًا عَنْ مَمَرَّاتِ النُّورِ
أَضْبُطُ اللَّعْنَةَ عَلَى تَوْقِيتٍ جَذَّابٍ
لأَضِيعَ
وَأَشُدَّ غَفَوَاتِي عَلَى الْقَتْلِ
أُدَلِّي أَسْلِحَةً وَجُرُوحًا مُسْتَعْمَلَةً
عَلَى حُدُودِ حَيَاتِي
لأَقْطَعَ الْفَجْرَ
مُتَتَبِّعًا رَائِحَةَ الدَّمِ
الَّتِي ظَلَّتْ مِنْ قَافِلَةِ الأمْسِ

-3-

بَاعَةُ الْمَوْتِ ظَهَرُوا
عَلَى أَكْتَافِهِمْ لا مُبَالاةَ وَمَفَاهِيمَ حَرْبٍ
انْتَظَرْتُهُمْ بِدُونِ قَصْدٍ
فَلا طَرِيقَ لَهُمْ مِنْ خَلْفِي
حَيْثُ أَنَا يَمُرُّونَ
وَأَدْحَرُ فِي ذِكْرَيَاتِهِمْ حَيَاتِي

هُمْ لا يَلِيقُونَ بِالْحُبِّ
مِثْلِي
حَيْثُ نَتَبَادَلُ تَقْطِيعَ أَوْعِيَةٍ دَمَوِيَّةٍ
وَنَلْهُو بِخَطِّ دِمَائِنَا عَلَى الْجِهَاتِ
***

كَفُّهُ الَّتِي تَعْصِرُ اللَّيْلَ، وَجِهَاتُهُ الْمُتَعَطِّلَةُ، لا تُمَثِّلُ عَلامَةً فَارِقَةً فِي مِشْيَةِ السِّنِينَ، ولا جَرَّدَتْ لَهُ حَظَّ الْمُتَمَرِّسِينَ عَلَى حَيَاتِهِمْ.

هَؤُلاءِ ابْتَعَدُوا بِطَرِيقَةٍ خُرَافِيَّةٍ، مَعَ أَنَّهُمْ مُتَشَابِكُو الأَذْرُعِ، يَرْقُصُونَ حَوْلَ نَارٍ تَلْتَهِمُ ضَحَايَاهُمُ الْيَوْمِيَّةَ.

يُشَارِفُ عَلَى تَمْرِيرِ حِقْدِهِ إِلَى الأَزْهَارِ وَالْهَمَسَاتِ الْحَنُونَةِ، يُطْلِقُ رَصَاصَ الْبَنَادِقِ الْمُجَرَّبِ عَلَى مَنَابِتِ الْحُبِّ وَالرَّحْمَةِ

مَا زَالَ يَرْفَعُ لَيْلا وَقَسْوَةً عَنْ حَيَاتِهِ
وَيَرْدُمُ فِي أَنَاهُ فَصَائِلَ دَمٍ وَأَصْوَاتًا غَيْرَ مَفْهُومَةٍ
يَرْقُصُ بِنِيَّةٍ أَنْ يَمْشِيَ
وَيُدَلِّيَ مِنْ جُرُوحِهِ الْقَدِيمَةِ قَتْلَى وَمُتَوَحِّشَاتٍ
هَذِهِ الرَّكْلَةُ بِنِيَّةٍ أَنْ يَفْهَمَ اللَّعْنَةَ
أَوْ يَبْنِيَ للأَعْوَامِ الْغَاضِبَةِ انْفِجَارًا عُضْوِيًّا
لَكِنْ، لا بُدَّ مِنْ كَارِثَةٍ
أَقْبَلَتِ الأَفْعَى الطَّوِيلَةُ وَنَكَّسَتْ دَفَّاقَةَ السُّمِّ عَلَيْهِ
صَارَ ضَارًّا وَبِوَاقِعٍ يُنَاسِبُهُ
الدُّنْيَا مَعَ بَنَّاءَةِ الْقَتْلِ صَغِيرَةٌ
يَنْفُخُ فِي بَطْنِهَا أَعْدَادًا لا حَصْرَ لَهَا مِنْ الانْتِقَامَاتِ
فَتَتَضَخَّمُ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي
صَارَتْ بِحَجْمِ الْعَالَمِ
وَهْوَ يُغَذِّيهَا بِدَمِهِ
نَعَمْ تَحَوَّلَتِ الأَرْضُ إِلَى حَيَّةٍ كَبِيرَةٍ
تَتَمَشَّى بِبُطْءٍ
وَتَمُصُّ دِمَاءَ الْكَائِنَاتِ
وَهُوَ بِأَنَاهُ الْمُعْتَدِلَةِ الْمِزَاجِ
يُدَاعِبُ سُمُومَهَا بِكُلِّ رِقَّةٍ وَحَنَانٍ.
***

جَرِّبْ هَذَا السُّكُونَ
اسْتَمِعْ إِلَى صَوْتِكَ مِنْ بَعِيدٍ
لا فَرْقَ
لَكِنْ لَوْ هَجَمَتِ الْغِرْبَانُ عَلَى حَيَاتِكَ
وَأَخَذَتْ عَيْنَيْكَ تَعْوِيذَةً فِي مَخَالِبِهَا
مَاذَا يَخْتَلِفُ؟
سَتَشْعُرُ بِالْعُمْيَانِ جَمِيعًا يَتَدَلَّوْنَ مِنْ نَفْسِكَ كُلَّ يَوْمٍ
سَتَمْشِي مَعَهُمْ فِي ظُلُمَاتِهِمُ الْعَظِيمَةِ
سَتَمْشِي إِلَى أَيْنَ؟
عِنْدَهَا، سَتَسْتَعِيدُ الْمَشَاهِدَ
سَيَكُونُ لَدَيْك وَقْتٌ لِلتَّدْقِيقِ الْجَيِّدِ فِي الْفَارِقِ مَا بَيْنَ لَوْنٍ وَلَوْنٍ
سَتَهْجُمُ عَلَى الْكَلامِ بِشَهِيَّةٍ أَنْ تُثْبِتَ لِلْكُلِّ أَنَّكَ تَرَاهُمْ
وَسَتَظَلُّ تَبْنِي عَلَى الْمَشَاهِدِ صُوَرًا
وَتُكَرِّرُ
إِلَى أَنْ تَنْمُوَ الْفَرَاغَاتُ وَتَتَدَحْرَجَ عَلَى عَيْنَيْكَ
عِنْدَهَا لَنْ تَكُونَ وَحِيدًا
سَتَكْبُرُ الصُّوَرُ وَتَتَحَرَّكُ
سَتَلُفُّكَ الأشْبَاحُ
وَتُلَطِّفُ حَيَاتَكَ
***

لا عَلَيْكَ
فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ سَيُمَرِّرُونَ جُيُوشَ الْحَرْبِ مِنْ هُنَا
وَلأَنَّكَ قَاطِعُ طَرِيقٍ مُتَمَرِّسٌ
لا تَنَمْ
سَمِّمِ الْهَوَاءَ بِهُدُوءٍ
وَتَمَتْرَسْ فِي خَنْدَقٍ بَارِدٍ
فَعَلَيْكَ أَنْ تُحَارِبَ أَيْضًا
لا يَهُمُّ مِنْ أَجْلِ مَاذَا

لَكِنْ هَذَا سَيَحْدُثُ اللَّيْلَةَ
فَلا مَفَرَّ
سَيَقْتُلُونَكَ لِيُكْمِلُوا وَجْبَةَ جِنرَالٍ
لِذَا
جَهِّزِ الأَسْلِحَةَ
سَيَكُونُونَ مُدَرَّبِينَ عَلَى فَصْلِ رَأْسِكَ عَنْ جَسَدِكَ
وَاصِلْ لبْسَ خُوذَاتِكَ
هُمْ جُيُوشٌ بِتَعْدَادٍ كَبِيرٍ
تَوَقَّفْ أَمَامَهُمْ
مَرِّرْ كَفَّكَ عَلَى صُفُوفِهِمُ الأَمَامِيَّةِ
قَدِّمْ قُلُوبَهُمْ لِشَهْقَةِ اللَّيْلِ
سَيَتَوَجَّهُونَ لِلْخَلْفِ
وَأَنْتَ تَخْلِطُ دِمَاءَهُمْ بِعَنَاصِرِ الشَّرِّ
سَيَمْتَثِلُونَ إِلَى خُطَّتِكَ الْمُحَكَّمَةِ
حَيْثُ يُجْهِزُ كُلُّ جُنْدِيٍّ عَلَى جُنْدِيٍّ
وَكُلُّ قَائِدٍ عَلَى قَائِدٍ
أَنْتَ انْتَصَرْتَ
إِذًا عُدْ إِلَى مَلَلِكَ الطَّبِيعِيِّ
كَيْ تُتَابِعَ غَدًا
قَطْعَ الطَّرِيقِ عَلَى حَيَاتِكَ.
***

بَاكِيًا وَحَزِينًا
هَبَطْتُ مِنَ السَّنَوَاتِ الْمَقْصُوصَةِ
إِلَى حَدَبَةِ الأَرْضِ وَمَجْرَى الرِّيَاحِ
ذِرَاعِي تَوَطَّنَتْ عَلَى صُدْغِ الْعَجُوزِ الْمُتَهَدِّلِ الْكَتِفَيْنِ
أَتَأَمَّلُ فِي جَبْهَتِهِ خُطُوطًا قَاسِيَةً
أُشَاهِدُ حَرَكَاتِ عَيْنَيْهِ الَّتِي تَبْعَثُ عَلَى الرِّيبَةِ
أَسْتَنْطِقُهُ بِشَتَّى الطُّرُقِ
فَلا يُعِيرُنِي إِلا الصَّمْتَ الْمُحَايِدَ

كَانَتِ الأَرْضُ قَاسِيَةَ الْمَلامِحِ
لا جُدْرَانَ وَلا شَجَرَ
غُرْفَةٌ مَفْتُوحَةٌ عَلَى كُلِّ الْجِهَاتِ
يَتَمَطَّى جَسَدُهُ الْقَدِيمُ عَلَى تَقَاطُعِ الطُّرُقِ
وَيَزُومُ
تَصْدُرُ مِنْهُ أَصْوَاتٌ لا تَفْسِيرَ لَهَا
فَلا أُعَلِّقُ
أَتَعَاوَنُ مَعَهُ فِي الْجَزِّ قَوِيًّا عَلَى أَسْنَانِي وَأَنَا سَاهِمٌ
أَحْثُو بِأَصَابِعِي فِي تُرَابٍ أَصْفَرَ
تَفِرُّ مِنْهُ نَمْلاتٌ سُودٌ
يَمْضُغُ وَاحِدَةً وَيَبْتَسِمُ
يَشُدُّ بِأُصْبُعَيْنِ جِلْدَهُ، وَبِطُولِهِ يَقِيسُ لِي رُبَّمَا حَسَرَاتٍ
أَوْ غَضَبًا
تَعَدَّى عَلَيْنَا اللَّيْلُ
وَنَحْنُ بِلا أُلْفَةٍ
وَإِذْ كُنْتُ سَاهِمًا أُفَكِّرُ فِي حَالِهِ
شَعُرْتُ بِرَكْلَةٍ قَوِيَّةٍ عَلَى رَأْسِي
: لِتَقْتُلَ أَيَّ شَيْءٍ !
فَانْدَفَعْتُ فِي الظَّلامِ
أُفَتِّشُ عَنِ الدِّيدَانِ السَّامَّةِ وَأَقْضِمُهَا
كَوَّمْتُ وُحُوشًا تَهْبِطُ عَادَةً مِنَ الْجِبَالِ لِخَنْقِ الأَطْفَالِ
وَلَعِقْتُ كَثِيرًا مِنَ الدِّمَاءِ
فَرَأَيْتُهُ فِي أَوَّلِ خَيْطٍ لِلصَّبَاحِ
يَمُدُّ ابْتِسَامَةً طَوِيلَةً بَيْنَ شَفَتَيْهِ
وَيُرَبِّتُ عَلَى كَتِفِي.
مَسْمُوحٌ لِي بِالْغِنَاءِ وَالرَّكْضِ
مَسْمُوحٌ لِي بِإِغْلاقِ النَّوَافِذِ وَالْمَشْيِ
مِنْ عِنْدِ الْبَابِ إِلَى عِنْدِ الْبَابِ
وَجَوْلاتُ الدَّمِ الَّتِي تَتَدَفَّقُ خَارِجَ الْبَيْتِ، تَغْمُرُ نَبَاتَاتِ الصَّيْفِ وَالْمُتَهَدِّمِينَ فِي حَيَاتِهِمْ، تَضْطَرِبُ ذِرَاعٌ، أَشُدُّ سَاقًا تَقَدَّمَتْ لِرَكْلِ صُدْغٍ، أُحِيطُ الْخَصْرَ النَّحِيلَ بِذِرَاعِي الدَّامِيَةِ، لأَنَّنِي قَتَلْتُ الأَشْبَاحَ الَّتِي تَجَوَّلَتْ مَعِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ

عَرْشٌ فِي ظَهْرِ عَامٍ يَتَقَدَّمُ
رُكْبَةٌ تَغُوصُ فِي مَلامِحَ رَدِيئَةٍ
إِنَّهُ السُّقُوطُ فِي دَرَجَةِ الصِّفْرِ
ضَغْطُ حَلْقَيْنِ فِي جِدَارِ امْرَأَةٍ
لَنْ أَتَعَجَّلَ
سَيَصِلُ قَاتِلُ الْحُبِّ، وَفِي يَدِهِ خَيْطٌ يَشُدُّ بِهِ
الأَرْوَاحَ الَّتِي تَغَذَّتْ عَلَى حَيَاتِي
وَسَنُقِيمُ سَهْرَةً بِمَلَذَّاتٍ غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ
سَنَتَقَاسَمُ مَضْغَ الأَرْوَاحِ وَالنَّاشِطَاتِ فِي الْحُبِّ.

مَسَاوِئُ الْحُبِّ

وَلاعَةٌ فِي يَدٍ وَفِي يَدٍ سِيجَارَةُ شِتَاءٍ
وَاجِهَةُ عَقْلٍ هَبَطَ عَلَيْهِ صَفُّ أَشْجَارٍ، لا اسْمَ لَهَا، وَجِهَاتٌ تَمْتَدُّ لِتَدْخُلَ الأَبَدِيَّةَ
لا تُوجَدُ حَانَاتٌ
نَبَاتَاتٌ لا تُوصَفُ لأنَّهَا لا تَنْمُو فِي حَدَائِقَ
أَسْنَانُ طِفْلٍ تَمْضُغُ الظَّلامَ
وَكَفٌّ يُفَتِّشُ فِي النَّهَارِ عَنْ طَرِيقٍ
لا أَحَدَ مَعِي غَيْرَ كَلْبٍ يَمُوتُ، وَآفَاقٍ تَلْهَثُ.
أَنَا فِي الأَمَامِ، أُزِيحُ الْوُجْهَةَ النَّاقِصَةَ عَنْ خُطُوَاتِي
تَمْشِي أَنْفَاسِي فِي رِوَايَةٍ مُرَتَّبَةٍ تَرْتِيبًا ثُلاثِيًّا
نَعَمْ، أَعْرِفُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ
أَعْرِفُ الْحِزَامَ الأَسْوَدَ وَالْخَوْفَ الْمَجْرُودَ عَلَى صَدْرِ الْمَرْأَةِ الْمَسْلُولَةِ، حَيْثُ لا يُمْكِنُ أَنْ أَبْنِيَ اسْمًا لِلْفَصْلِ الثَّانِي بِدُونِ أَنْ أَكُونَ فَوْضَوِيًّا يُخَرِّبُ أَجْهِزَةَ الْحُبِّ وَبِنَايَاتِ الْفَلْسَفَةِ الْعُضْوِيَّةِ.
نَهَارٌ فِي مِشْنَقَةٍ، يَتَبَدَّدُ فِيهِ الْحُزْنُ وَالْحَنِينُ وَالأَفْكَارُ الْفَاسِدَةُ، حَيْثُ لا بَرْدَ وَلا رِيحَ ، وَلا نِهَايَاتٍ، فَقَطْ أَلْوِي هَذِهِ الْمَمْنُوعَاتِ عَلَى ذِرَاعِي وَأُفَكِّرُ فِي نَسْرٍ قَدِيمٍ مَاتَ عِنْدَ الشَّجَرَةِ.
هَذَا عِنْدَمَا كَانَتِ السَّمَاءُ تَتَمَدَّدُ عَلَى بَطْنٍ فَارِغَةٍ، وَالرِّمَالُ تُوحِي بِالرُّوحِ الْمَمْزُوجَةِ بِالْغَيْمِ، لأنَّهَا بِلادٌ مِثْلَ بِلادٍ أُخْرَى، لَهَا جِبَالٌ وَبِحَارٌ وَرِيحٌ وَكِتَابٌ.
الْمَسَاءُ لِتَأْنِيثِ الْمُهِمَّاتِ الْمَعْزُولَةِ، لِتَرْتِيبِ الأَفْوَاهِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ بِمُفْرَدَةٍ أَوْ مُفْرَدَتَيْنِ.
جِدَارٌ مَسْرُوقٌ
سِيقَانٌ طَوِيلَةٌ، وَعَيْنَانِ فِي الْمُنْتَصَفِ
لا الشَّجَرَةُ الْقَدِيمَةُ شَاخَتْ
وَلا شَعَرْتُ يَوْمَهَا أَنَّ الْحُرُوبَ الْقَادِمَةَ سَتَجْعَلُ الْقَلْبَ أَكْبَرَ
سَائِقُ الأَسْفَلْتِ الأَعْمَى، وَقِلادَةُ الْبَائِعَةِ
حِجَارَةُ السُّوقِ الْحِجَازِيَّةُ وَلَوْنُ الْمُنْتَجَعَاتِ
حَيْثُ كَابَرَ الطَّقْسُ وَالنَّخْلَةُ وَتَوَتَّرَ الشَّابُّ النَّحِيلُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَهُوَ يُتَمْتِمُ بِأُغْنِيَةٍ كَئِيبَةٍ وَشُعُورٍ مُمِلٍّ.
لا حُفَرَاتٌ عَلَى الشَّاطِئِ يَتَدَلَّى مِنْهَا حَبْلٌ

لا عُنُقٌ مَرْبُوطًا بِعِنَايَةٍ مَنْ يَمُوتُ
الْحُفْرَةُ بَعِيدَةُ الْقَاعِ
وَفَمُهُ فَارِغٌ مِنَ الأَسْنَانِ، يَعْقِدُ فِيهِ ثَوْبًا حَوْلِيًّا وَزُجَاجَةَ خَمْرٍ رَخِيصَةً.
الصَّبَاحُ بَطِيءٌ، لَكِنَّهُ مَرَّ بِهُدُوءٍ وَدُونَ أَنْ يَبْدُوَ عَلَيْهِ ارْتِبَاكٌ، وَأَنَا عِنْدَ الْبَابِ الْمَقْصُوصِ أَنْتَظِرُ نَهْرًا يَجْرُفُ الأَنْفَاسَ الْحَزِينَةَ وَيَجْرُفُ مَسَاوِئَ الْحُبِّ.
لَمْ يَكُنْ خَارِجَ الْبَيْتِ
وَجْهُهُ رَاحَ فِي غَفْلَةٍ طَوِيلَةٍ وَصفٍّ بُيُوتٍ نَائِمَةٍ فِي دَرَجَةِ حَرَارَةٍ تَمِيلُ لِلْبُرُودَةِ قَلِيلا، وَفِي نِهَايَةِ الْمَمَرِّ شَجَرَةٌ مَقْطُوعَةٌ وَامْرَأَةٌ تَرْبُطُ ذِرَاعًا حَوْلَ عُنُقِهَا.
غَلايَةُ قَهْوَةٍ.
وَجُهُودٌ خُرَافِيَّةٌ لِتَبْدِيدِ مَا حَدَثَ لِلْمُهَاجِرِ فِي طَرِيقِهِ لِلْعَمَلِ
عَلَى الْغَرِيبِ أَنْ لا يَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ مُبَكِّرًا
عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَفْهَمَ السَّنَوَاتِ الأَرْبَعِينَ وَلا تَتَقَيَّدَ بِالْعَاطِفَةِ
فَلا تَسْتَطِيعُ الْجَالِيَةُ أَنْ تَظْهَرَ كَامِلَةً فِي التِّلْفَازِ وَلا يَسْتَطِيعُ كَذَلِكَ شَعْبٌ.
لا يُوجَدُ غَيْرُ الرِّحْلَةِ
بِحَقِيبَتِهِ وَمِشْيَتِهِ الْمَائِلَةِ قَطَعَ مَسَافَةً غَيْرَ بَعِيدَةٍ، ثُمَّ شَاخَ عَلَى حُدُودِ الصَّبَّارِ وَالتِّينِ والشَّوَاطِئِ الْبَارِدَةِ.
أَتَكَلَّمُ عَنْ درَيْدا وَهُوَ يَفُكُّ الأَرْشِيفَ
قَدَمٌ مَكَانَ قَدَمٍ
عُبُوَّاتٌ رُوحِيَّةٌ
حَلْقٌ مُجَهَّزٌ لِلَّيْلِ
كَلامٌ تَطَوَّرَ إِلَى حُبٍّ
هَذِهِ الْمَسَافَةُ طَوِيلَةٌ
يَدْفِنُونَ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ
بلادٌ بِجَانِبٍ وَاحِدٍ
وَالأَصَابِعُ الْخَشِنَةُ تَحْفِرُ فِي تُرَابٍ قَاسٍ لِيَعْجِنَ الْحَظُّ شَعِيرًا وَنُوقًا
هَذِهِ سَمَاءٌ مَفْتُوحَةٌ عَلَى سَمَاءٍ
بَوَّابَاتٌ شَرْقِيَّةٌ لِحُبٍّ قَدِيمٍ
خَسَائِرُ الْمُقَامِرِ الْمُتَكَرِّرَةُ
اسْمِي فِي يَدٍ عَرِيضَةٍ، لا يَجِدُنِي
ولا أَجِدُ مَمَرَّاتٍ تُفْضِي إِلَيْهَا
حَاجِبَانِ لِخَيْلٍ نَفَقَتْ

خَصْرُ عَائِلَةٍ قَتَلَتْ سَنَوَاتِهَا فِي التَّجْهِيزِ لِلْحُبِّ
لا حُدُودَ بَيْنَ الْقَارَّةِ السُّفْلَى وَمَوْقِدِ النَّارِ الْقَدِيمَةِ
لا رِعَايَةَ فِي الظَّلامِ
شَهْرٌ مِنَ الْحُزْنِ الْمُتَبَقِّي
سَحَابَاتٌ رَاجِعَةٌ
وَأَنَا أُجَرِّبُ أَنْ أُغَيِّرَ مِشْيَةَ السَّاعَةِ قَلِيلا.
***

لا شَيْءَ يَعْزِلُكَ
عَقْلُ حَبِيبَتِي مُخْتَلٌّ وَفَاسِدٌ
سَأُمَدِّدُ غُرْفَتَهَا عَلَى يَدَيَّ
فلا يَفِيضُ شَيْءٌ
هَذِهِ وَضْعِيَّةٌ سَيْكُولُوجِيَّةٌ لِلْخَلاصِ مِنْ حُبٍّ
تَجْهِيزَاتٌ رُوحِيَّةٌ لِمَعْرِفَةِ كَيْفَ أُنَسِّقُ الأَيَّامَ أَوْ أُبَدِّدُهَا وَحْدِي
وَتَنْفِرُ مِنَ الضَّوْءِ
تَضِيقُ بِالصَّدَاقَاتِ فِي وَضْعِيَّةٍ لا تَصِفُ الْوَاقِعَ
عَلَى أَنَّكَ لا تُطِيقُ أَنْ تَتَرَدَّدَ كَثِيرًا عَلَى الأَمَاكِنِ بِدُونِ ذِكْرَيَاتٍ
أَوْ عَلامَةٍ مَعَ شَيْءٍ
فَضَاءُ النُّجُومِ تَمَّ قَتْلُهُ
الْعُزْلاتُ لَمْ تَعُدْ ذَاتَ طَابَعٍ فَلْسَفِيٍّ
الْجُدْرَانُ ذَهَبَتْ
لَمْ أُسَجِّلْ شَيْئًا
وَفِي مُشَاهَدَاتِي الْيَوْمِيَّةِ أَحْتَاجُ لِشَخْصٍ ثَانٍ
يَحْكِي عَلَى مَسْمَعِي مَا أَرَاهُ يَمُرُّ
أَحْتَاجُ لِمُخَيِّلَةٍ تُشْبِهُ مُخَيِّلَتِي
الصَّحْرَاءُ فِي خَطَرٍ
وَالْمَاضِي فِي مُهِمَّةٍ تُشْبِهُ الْحَرْبَ
وَالإِشَارَاتُ الشَّخْصِيَّةُ لِوُجُودِي لا تَرْتَبِطُ بِالصَّقِيعِ
وَلا بِمَوْجَاتٍ مِثْلَ الَّتِي تَحْدُثُ مَثَلا فِي الصَّيْفِ
أَوْ الرَّبْعِ الْخَالِي

لا مُرَبَّعَاتٌ فِي صِيغَةٍ كَثِيرَةٍ
كَهْرَبَاءُ بلا أَحَدٍ
مَسَافَاتٌ لا يَرُوقُهَا أَنْ أَحْلُمَ
وَلا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُجَهِّزَهَا مَثَلا لِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ
وَرَغْمَ ذَلِكَ
وَصَلْتُ لِلْفَائِضِ.
هُنَا سَحَبُوا كُلَّ شَيْءٍ خَلْفَ الْغَرْبِ
أَوْ حَشَرُوا الْمُتَبَقِّيَ لِي فِي فُوَّهَاتٍ مُظْلِمَةٍ
أَحْتَاجُ إِلَى جَيْشٍ مَعِي
وَأَحْتَاجُ إِلَى نِسْبَةٍ عَالِيَةٍ مِنْ عَدَمِ الاكْتِرَاثِ
لأُنْقِذَ مُهِمَّةً مِنْ مُهِمَّاتِي غَيْرِ الْجَاهِزَةِ
اللَّيْلُ بِنِصْفَيْنِ
السَّمَاءُ لَهَا اسْمُ امْرَأَةٍ
الطُّرُقَاتُ مَسْرُوقَةٌ
الصِّيغَاتُ الْعَجِيبَةُ لِوَضْعِيَّةِ الْعَمَلِ
وَالْجُلُوسُ مَعَ الْجَمِيعِ
هَذَا نِصْفٌ
وَالنِّصْفُ الآخَرُ بِدُونِ شَيْءٍ.

مَجْنُونَـةٌ

أَجْذِبُهَا مِنَ الْخَصْرِ الأسْفَلِ، فَتَسِيلُ
تَدْفَعُ بَوَّابَةَ اللَّيْلِ بِإِحْدَى رِدْفَيْهَا
وَبِشَكْلٍ طُولِيٍّ، تَتَعَدَّدُ فِي الْمِرْآةِ وَنَحْوَ النَّافِذَةِ
أَدُقُّ عَلَى ظَهْرِهَا تَارِيخًا طَوِيلا لِلرَّجُلِ الشَّرْقِيِّ
وَسَوءاتٌ تَعَلَّمْتُهَا فِي الْحُبِّ
فَتَضْحَكُ
تُرْسِلُ شَعْرَهَا نَحْوَ الْيَمِينِ وَإِلَى أَعْلَى
تَخَافُ عَلَى الْمِيكِ أَبٍّ مِنْ قُبْلَةٍ طَوِيلَةٍ
وَتَهُزُّ كَتِفَيْهَا عَلَى طُولِ الْكَلامِ
هِيَ امْرَأَةٌ شَاخِصَةٌ فِي جِهَازِ جَسَدِهَا الْمُتَرَامِي
تَغْرِفُ مِنْ نَكْسَةِ قَلْبِي مَا يَكْفِي لِشَدِّ شَفَتَيْهَا لأعْلَى
لَيْسَتْ لَهَا مَرَارَةٌ
وَلا سُوءُ حَظٍّ
وَمَهْمُومَةٌ بِدَقِّ خُطُوَاتِهَا عَلَى مِسَاحَاتِ ضَوْءٍ شَاسِعٍ
أُحَدِّقُ فِي بَهِيمَةِ الْعَالَمِ
أَبْنِي شَوَاطِئَ وَهُدْنَاتِ حَرْبٍ عَلَى سَاقِهَا الْعُلْيَا
أُجَهِّزُهَا لِحَفْلَةِ الْمَجْنُونَاتِ وَفَاسِدَاتِ الرَّغْبَةِ
أَنَا لا أُحِبُّهَا
وَلا أَرْتَاحُ لِذِكْرَاهَا
لَكِنْ أُفَتِّشُ عَنْ أَجْزَائِهَا بِكُلِّ الطُّرُقِ
أَدْفَعُ صَدْرَهَا لِكَوْكَبِ الْمَجَرَّاتِ الشَّارِبَةِ
وَنِصْفَهَا لِلْمُذَنَّبِ الَّذِي لَمْ يَصِلْ
هِيَ كَارِثَةٌ فِي نَفْسِي لا تَنَامُ إلا لِتَنْفَجِرَ
تُمَدِّدُ يَدَيَّ عَلَى نِصْفَيْهَا بِلا إِحْسَاسٍ
عَادِيَّةٌ وَبلا أَسْرَارٍ

تُعْطِينِي وَجْهَهَا بِبُرُودَةٍ مَائِلَةٍ
وَتَقُولُ:
مَا زَالَ هُنَالِكَ وَقْتٌ.

مِيتَالِيك

(إِنَّ مَا يُثِيرُنِي فِي الْحَيَاةِ هُمُ الشُّخُوصُ)

تَقْسِيمُ الذَّاتِ إِلَى مَسَاءٍ وَحَفْلَةٍ
قَانُونٌ يَتَدَاخَلُ مَعَ نِهَايَةِ شِتَاءٍ
الْيَوْمُ الْكَامِلُ
مَمَرَّاتٌ فِي خَسَارَتَيْنِ
أَشْجَارٌ لِبِيكِيتْ وَكَامُو
فَهَذَا حَزِينٌ
لَكِنَّهُ يَقْطَعُ الأَزْهَارَ وَالرُّوحَ وَالرِّحْلَةَ
جُهُودُ الْجَازِ وَالْمِيتَالِكِ فِي إِنْشَاءِ الْغَضَبِ
صَوْتٌ مَعَ الأَنْهَارِ الْقَادِمَةِ
يَبْنِي عَصَافِيرَ وَجِهَازَ حُبٍّ
شَرْقُ الأَرْضِ يَوْمٌ طَوِيلٌ
مَمْشَى لِلرَّقْصَةِ الْمَنْهُوبَةِ
لا يُوجَدُ حَنَانٌ
مُتَوَالِيَاتٌ رُوحِيَّةٌ فِي غَيْمَةٍ
مَجَالٌ حِسِّيٌّ فِي الضَّوْءِ
لا يُمْكِنُ الْمُرُورُ عَلَى عَصْرٍ كَهَذَا بِدُونِ جَرِيمَةٍ
لا يُمْكِنُ الْمُثُولُ فِي الْمَاضِي بِقَلْبٍ
نَحْوَ مَعْرَكَةٍ مَعَ الأَحْلامِ أَوْ مَعْرَكَتَيْنِ
يَنْبُتُ الْمُسْتَحِيلُ
تَدُورُ النَّجْمَةُ
وَيَبْدَأُ اللَّيْلُ بَارِدًا
لا
هَذِهِ انْتِفَاضَةٌ مِنْ أَعْلَى
قَلْوِيَّةُ الْفَلْسَفَةِ وَالْخَوْفِ الْقَدِيمِ
حَدَقَةُ الْعَيْنِ الْمَقْطُوعَةِ
اقْتِرَابُ اللَّهِ مِنَ الصَّدْرِ

الدِّيدَانُ وَهِيَ تَدُورُ فِي جُمْجُمَةٍ
أَشْجَارُ الْخَرِيفِ الْمَائِلَةُ
كُلُّ هَذِهِ الْمَمْنُوعَاتِ مِنَ الزُّهُورِ وَالطُّرُقِ
كُلُّ هَذَا الْغِنَاءِ الْبَعِيدِ
كُلُّ هَذَا الْمَكَانِ الْمُتَعَامِدِ عَلَى الْفَرَاغِ
أَسْمَاءٌ لِرَقْصَةٍ مُهَرَّبَةٍ
مِنْطَقَةُ الظَّهِيرَةِ وَالْفِكْرَةِ
قَرَاصِنَةُ الْمَبْنَى الْمُجَاوِرِ لا يَعْرِفُونَكِ
فَفِي لَيْلِ الْمَقْهَى الْوَاسِعِ
يَسْمَعُونَ صَوْتَكِ يَخْرُجُ مَكْتُوبًا
ظَهْرُكِ بِالْكَامِلِ
الْجَدِيلَةُ الْمَرْفُوعَةُ
حِزَامُ الْمُهِمَّاتِ الْغَامِضَةِ
تدَفِّقُ اللَّعْنَةِ بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْحُبِّ
خَرَابُ السَّمَاءِ الْقَدِيمَةِ
حَسْرَةُ الْحَضَارَةِ الَّتِي فِي الْبَيْتِ
وَجَلَبَةٌ حَوْلَ النَّهَارِ وَسَاقِكِ
فَعُذْرًا عَلَى نِهَايَةِ الْكَلامِ
وَعُذْرًا عَلَى الْجِدَارِ الثَّالِثِ
حَيْثُ أَنَا وَآخَرُونَ
نَنْتَظِرُ حُدُوثَ صَوْتٍ
وَحُدُوثَ فَرَاغٍ، لِنَبْنِيَ فِكْرَةً
أَوْ حِينَ يَنْتَهِي أَصْدِقَاءُ اللَّيْلِ مِنْ جَوْلاتِهِمْ
نَكُونُ جَاهِزِينَ لِلْبُكَاءِ
وَتَرْدِيدِ الْكَلِمَاتِ مِنْ جَدِيدٍ
حَاوِلْ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ
تَوَتَّرْ قَلِيلا
لِتَضَعَ الْكَفَّيْنِ عَلَى كَفٍّ
فَمِنَ النَّافِذَةِ الْقَدِيمَةِ
يَتَدَلَّى بَحْرٌ وَسَفِينَةٌ

أُشَاهِدُ فِي جَوْلاتِهَا الرِّيحَ
وَأَطْرَافَ الثَّلْجِ
أُشَاهِدُ رَاقِصَاتِ الْعُصُورِ التِي مَاتَتْ
يَدْفَعْنَ عَرَبَةً بِأَقْدَامِهِنَّ
فَرُكْنُ الْمَرْأَةِ الْمَمْنُوعَةِ جَاءَ
تَدَفَّقَتِ السُّهُولُ عَلَى يَمِينِهِ
وَصَرَخَتْ طَارِدَاتُ الْوَحْدَةِ
نَبَتَتْ فِي الأُغْنِيَّةِ رَاهِبَاتٌ
تُمْطِرُ وَلا تُمْطِرُ
هَذَا يَحْدُثُ دَائِمًا
عِنْدَمَا نَقُولُ: أُحِبُّ كَذَا وَكَذَا
الْمَقْصُودُ مِنْ تَرْدِيدِ هَذَا
أَنَّ فِي اللَّوْحَةِ أَلْوَانًا مُتَقَابِلَةً
وَمَعَ خَشَبَةِ الْقِيتَارِ شَعْبٌ مُجَاوِرٌ
بِأَفْرَادِهِ الَّذِينَ هَاجَرُوا
يَتَبَادَلُونَ النَّظَرَاتِ الْمَائِلَةَ
كَيْ لا يَقِفَ الضَّوْءُ الْقَادِمُ نَحْوَهُمْ
هَذَا مِنْ بِدَايَةِ الْحَدِيقَةِ
مِنْ عِنْدِ الْمَقْعَدِ الْمَقْلُوبِ
الصَّيْفُ الْمُنْحَازُ لِمَنْ أَحَبَّ
وَهُوَ يَدْفَعُ الأَنْهَارَ الْبَعِيدَةَ
كَيْ تَأْتِيَ بِشَيْءٍ.

نَشَاطٌ لَيْلِيٌّ

انْتَبِهْ، أَمَامَكَ اللَّيْلُ وَالْمَاضِي
سَنَوَاتٌ مُعَلَّقَةٌ بِدُونِ الْتِزَامٍ
حَنِينٌ شَتْوِيٌّ يُغَادِرُ مِنْ هُنَا
أَنْتَ مُتَقَدِّمٌ عَلَى ذَاتِكَ السُّفْلَى
مَقْطُوعٌ عَنِ الطَّرِيقِ
تُفَكِّرُ فِي لا شَيْءَ
فَلَيْلَةُ الْغِنَاءِ مَعَ النَّهْرِ الْبَارِدِ مَوَدَّةٌ
غَارِقَةٌ مِنْ عِنْدِ الْمِنْفَضَةِ الْقَدِيمَةِ
عُودُ الثِّقَابِ الْمَقْلُوبُ
عَوَاصِمُ الْمَرْأَةِ الَّتِي نَادَتْ عَلَيْكَ
ضَعِيفٌ مِنْ عِنْدِ الْكَوْكَبِ
جَاهِزٌ لِلْيَأْسِ وَالْوَحْدَةِ
قَانُونُ الْمِسَاحَةِ الَّتِي نَفَقَتْ
أَعْوَامٌ زَرْقَاءُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ
لا تَدُورُ خَلْفَ الْمَبْنَى الْمَهْجُورِ
فَهَذِهِ لَحْظَةٌ تَتَقَدَّمُ كُلَّ الْمُرَبَّعَاتِ
دَوَائِرُ تَخُصُّكَ مِثْلَ الشَّجَرِ
وَالْبَحْرِ
وَالشَّارِعِ الْمَقْسُومِ مِنْ عِنْدِ الظَّهْرِ
أَيْضًا، عَلَى التَّعْذِيبِ وَالنَّجْمَةِ
تُمَرِّرُ الْكَفَّ الْمَائِلَةَ

تَعْنِي مَا لا تُرِيدُ
تَخُطُّ حِيطَانًا وَعَدَمًا
خَرِيفٌ لِبَيْتٍ قَدِيمٍ
وَدُرُوبٍ لا تَجِيءُ إلا مِنْ فِيلْمٍ رِوَائِيٍّ
صَقِيعٌ لا يَخُصُّكَ
هَذِهِ أَنْحَاءٌ ذَهَبَ مِنْهَا مَنْ تُحِبُّ
وَهَذَا يَبْدُو مُتَأَخِّرًا بَعْض الشَّيْءِ؛ لأنَّ الْمُخَطَّطَ الْحَقِيقِيَّ لِمَا تُرِيدُ هُوَ خَارِجُ الْخَرَائِطِ الْمَاثِلَةِ فِي الْمُمْكِنِ وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُبَدِّلَ الْمُسْتَحِيل بِكَفٍّ مَقْلُوبِةٍ، تُبَادِرُ مَعَ الْخَوْفِ وَالنَّارِ الْمَنْسُوبَةِ لِعَصْرٍ مِنَ الْعُصُورِ
أَتَوَقَّفُ عِنْدَ نَفْسِي طِيلَةَ يَوْمٍ كَامِلٍ، فَلا أَجِدُ غَيْرَ عَلامَاتٍ مُتَكَرِّرَةٍ لِشَخْصٍ يَتَجَنَّبُ كُلَّ شَيْءٍ.
أَنْتَ فِي الْمَاضِي شُخُوصٌ غَيْرُ مَوْجُودِينَ، لَهُمْ هَيْئَاتٌ خَاصَّةٌ، وَلَكْنَاتٌ خَاصَّةٌ، بِحَيْثُ لا تُسَيْطِرُ عَلَى هَذِهِ الْمَشَاهِدِ الْمَقْطُوعَةِ إلا بِجَرِّهَا فِي سَرِيرٍ طَوِيلٍ.
الْمَكَانُ الَّذِي يَحْتَوِي كُلَّ شَيْءٍ
تَوَقَّفْ هُنَا:
تَتَكَلَّمُ عَبْرَ لَفْتَةٍ، لأنَّ هَذَا يَوْمٌ لَمْ يَحْدُثْ فِيهِ مَا تُحِبُّ
ابْتِسَامَةُ الْمُجَامَلَةِ الضَّعِيفَةُ، مَنْسُوبُ الْغَضَبِ
عِلاجَاتٌ لِلْمَلَلِ، التَّعَوُّدُ عَلَى شَخْصٍ لا تُحِبُّهُ
مَنْقُولاتٌ حَضَارِيَّةٌ، اتِّهَامَاتٌ لِلْجِمَالِ الْبَطِيءِ
اعْذُرْنِي بلا قَلْبٍ. أَنْتَ ذَهَبْتَ لِلصَّيْدِ، وَأَنَا دَوَّنْتُكَ بَحَّارًا هَارِبًا إِلَى الْقَارَّاتِ الْبَعِيدَةِ
تَعَرَّفْتُ عَلَيْكَ: مَجْمُوعٌ كَبِيرٌ
فَكُلُّ سَنَةٍ أَبَنِيكَ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى، لَكِنَّكَ لا تَرْتَاحُ مَعِي
تُنَافِسُ الْجَرِيمَةَ وَالْمَمْنُوعَاتِ
أَنْتَ الَّذِي لا أَعْرِفُكَ بِسُهُولَةٍ حِينَ تَذْهَبُ فِي اتِّجَاهٍ بَعِيدٍ
تَسُوقُ مَعَكَ حَقِيبَةً وَأَسَاطِيرَ
وَفِي الْمَقْهَى الْمُخَصَّصِ لِلأَجَانِبِ
تَنْفِي حَضَارَتَيْنِ وَامْرَأَةً
الظَّهِيرَةُ بِحَوْزَتِكَ
مَكَان السَّاعَةِ
قِطَارُ الْعَصْرِ الصِّنَاعِيِّ
سَطْحُ الرَّبِيعِ فِي الرِّوَايَةِ
تَدَفُّقُ الْمَاءِ فِي النَّهْرِ

كِلابُ الْحِرَاسَةِ فِي الْحَيِّ الْمُقَابِلِ
لا تُعِيدُ الْحَيَاةَ بِفِكْرَةٍ
لا تَعْتَقِدُ أَنَّكَ مَعْزُولٌ عَنِ الْبَيَانَاتِ السَّيِّئَةِ
هَذِهِ أَجْهِزَةُ اللَّيْلِ وَالْوَحْدَةِ
لأَنَّنِي دَخَلْتُ مَمَرًّا مِنْ مَرْكَبَاتِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ
عَلَى مَنْهَجِ الْمُوسِيقَى
الْحِيطَانُ بِرَائِحَةِ التَّبْغِ
الصَّوْتُ الْخَافِتُ لِنِسَاءٍ غَيْرِ بَدِينَاتٍ
هَذِهِ إِشَاعَاتٌ عَنْ مَدِينَةٍ مُوَجَّهَةٍ لِلْمَاضِي
تَمْشِي فِي طَرِيقٍ آخَرَ
دَائِرِيٍّ وَمُتَوَسِّطٍ
تَبْدَأُ بَائِعَةُ الْوِيسْكِي بِالرَّقْصِ
يَتَجَوَّلُ ضَوْءٌ ثَانٍ
فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ الْبَدِينُ مَخْمُورًا وَيُغَنِّي
عَصَافِيرُ بَعِيدَةٌ تَتَوَقَّفُ
الْقَادِمُ بِالْكَتِفِ الْمَائِلَةِ
مَعَ الْجِيتَارِ وَالْحَقِيبَةِ الطَّوِيلَةِ
هَذِهِ أَجْزَاءٌ أَمَامِيَّةٌ لِلصَّدَاقَةِ
عُرُوضٌ سَرِيعَةٌ لِلْحُبِّ
يَقِفُ الْقَاتِلُ كَنَمُوذَجٍ
يَتَهَامَسُ الأبُ مَعَ نَفْسِهِ
إِذًا سَأَتَدَافَعُ فِي دَاخِلِي
حَيْثُ الْمُهَاجِرُ الطَّوِيلُ
يَشْعُرُ بِقَلَقٍ ظَاهِرٍ
الْقِطَارُ الْمُبَكِّرُ وَأَصْوَاتُ الْمَحَطَّةِ
نِهَايَةُ التَّدْخِينِ
أَنَا مَمْنُوعٌ فِي الْمَاضِي
أُحَاوِلُ تَرْدِيدَ الأغْنِيَةِ فِي الْفَجْرِ.

أَسْبَابٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِي

لا هَذَا وَلا ذَاكَ
مُتَعَلِّقٌ هَذَا الأمْرُ بِالنَّزْعَةِ الْوَاحِدَةِ
سَقْفٌ مَحْكُومٌ بِاللَّيْلِ
فَرَاغٌ قَوِيٌّ وَجَاهِزٌ لَشَهْقِ مَا يَعْنِينِي
الْكَوَاكِبُ الْمَجْنُونَةُ فِي غَرْبِ الشَّارِعِ
الأعْنَاقُ الْجَدِيدَةُ فِي يَدِ الظُّلْمَةِ
هَذَا لَيْسَ بِصَيْفٍ
ولا خَرِيفٍ
الشُّهُورُ مُبَعْثَرَةٌ وَعَادِيَّةٌ
وَقِسْمَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ لا تَعْنِي السَّعَادَةَ
أَوْ مُهِمَّةٌ مِنْ مُهِمَّاتِ الذَّاتِ السُّفْلَى
حَالَةٌ تَرْتَعِشُ
وَجُيُوبٌ سَمَائِيَّةٌ
لا تَعُودُ، هَذِهِ الرَّجَّاتُ الْقُصْوَى
لا يُدْرِكُ الْجِهَةَ الْمَقْطُوعَةَ مِنَ الْغَرْبِ
الثُّلاثَاءُ الْمَيِّتُ
قَيْلُولَةٌ حَجَرِيَّةٌ تَلْتَهِمُ الْعَامَ
فَرِيقٌ عَشْوَائِيٌّ لا يَفْهَمُ
هَذِهِ الْوُعُودُ لِتَجْهِيزِ الأَقْوَالِ الْخَاطِئَةِ
وَجَيْشٌ مِنَ الْعَهْدِ الْمُتَعَالِي
وَاجِهْنِي أَيُّهَا الْقَلْبُ
مِلْ قَلِيلا عَلَى حَالِي

وَتَوَجَّهْ لِلصُّدْفَةِ
تَوَجَّهْ لِمِقْبَضِ الْحَظِّ وَالرِّوَايَاتِ غَيْرِ الْكَامِلَةِ
سَوَاءٌ أَنْتَ أَمْ مَا يَكُونُ الشَّبِيهَ
سَوَاءٌ دَقَّتْ قَدَمِي أَرْضا تَمْشِي
أَوْ طَرِيقًا طُولِيًا
لا يُمْكِنُ التَّعَرُّفُ عَلَى الطَّرِيقِ الْخَالِيَةِ
بِدُونِ اللَّهِ وَالْمِفْتَاحِ الْقَدِيمِ
نَارٌ فِي مُحِيطِ الأَمْسِ
جِهَازٌ عَقْلِيٌّ يَتَعَالَى عَلَى مُكَوِّنَاتِ الْحَضَارَةِ
نِسْوَةٌ مَسْعُورَاتٌ بِمَا تَبَقَّى
حَيْثُ مَوَالِيدُ سِبْتَمْبِرَ وَالشَّهْرِ الَّذِي يَلِيهِ
فَلا تَتَقَدَّمُ مِنْ شَيْءٍ بِدُونِكَ
حَاوِرِ الْعَلامَةَ الْمُتَفَاقِمَةَ فِي رُوحِكَ
كَيْ تَأْكُلَ الْمَمْنُوعَاتِ جَمِيعًا
وَتَسُوقَ الْحَيَاةَ فِي مَهْجَرٍ
أَوْ تُقَامِرَ عَلَيْهَا بِدُونِ تَحَفُّظَاتٍ سَابِقَةٍ
أَنْتَ بِلا هُوِيَّةٍ
تَجْلِسُ فِي عَقْلِ الطَّبِيعَةِ وَالأَجْهِزَةِ
تُمَدِّدُ التَّارِيخَ عَلَى عُلْبَةِ الْكِبْرِيتِ
كَيْ لا تَفْهَمَ شَيْئًا مِنْ هَذَا
وَفِي مُحَاوَلَتِكَ لِلْمُرُورِ
تُخَرِّبُ الْقَلْبَ
وَالْخَرَائِطَ
وَشُئُونَ الْمَاضِي
حَاوِلْ مَعَ الْمِنْطَقَةِ الْقَادِمَةِ
وَأَلْغَامِ الْقَيْظِ وَالْحَيْرَةِ
اشْنُقِ اللَّيْلاتِ الثَّلاثَةَ
وَشُدَّ الْجِهَةَ الْعُلْيَا مِنَ الْمَرْأَةِ الْوَافِدَةِ عَلَيْكَ
حَيَاتُكَ طَوِيلَةٌ وَغَيْرُ مُقَدَّسَةٍ
وَتَحْتَاجُ إِلَى أَسْئِلَةٍ كَثِيرَةٍ وَمُمِلَّةٍ

يَا أَيُّهَا الأحْمَدُ:
صِفْ لِي مُفْرَدَاتِ الْمَلَلِ وَالْوَحْدَةِ
جَاهِزْنِي بِمُقَدِّمَاتِكَ عَنِ الَّذِي ضَغَطَ الدُّنْيَا
وَثَانِيًا
يُبَادِلُونَكَ الأَفْكَارَ بِنَظَرِيَّاتِهَا
وَخِبْرَاتِهِمْ
وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي فِي الْمُنْتَصَفِ لَيْسَ شَيْئًا
وَلا أَشْيَاءَ
فَقَطْ نِدَاءَاتٌ جَمَاعِيَّةٌ لِلْمُفْرَدَاتِ الَّتِي ظَلَّتْ
عَاقِبِ اللَّيْلَ
وَالْحُجْرَةَ
وَمُثَلَّثَاتِ الْمَطَرِ
تَمَهَّلْ فِي خُطُوَاتِكَ
وَطَرِيقَةِ شُعُورِكَ
أَنْتَ تَدَاخَلْتَ مَعَ سَنَوَاتِكَ لِكَيْ تَبْنِيَ حَوَائِطَ جَدِيدَةً
قَتَلْتَ الابْتِدَائِيَّاتِ وَمَا يَتَعَاقَبُ عَلَيْهَا
فَوَاحِدَةٌ لِلدُّنْيَا
وَوَاحِدَةٌ لَكَ
وَمُؤَهَّلٌ لِحُدُوثِكَ
فَلِمَاذَا لا تَكُون؟
لِمَاذَا لا تَتَّحِدُ مَعَ الْمَنَاطِقِ النَّاقِصَةِ
تِلْكَ الَّتِي لا تَطَالُهَا الْفَلْسَفَةُ وَالشِّعَارَاتُ
نَعَمْ هِيَ حَرْبٌ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ
حَرْبُكَ الْمُمْتَدَّةُ مِنْكَ
تَوَزَّعْ
كُنْ بَيْتًا يَمْتَدُّ إِلَى سَهْلِ الْبَرْدِ
كُنْ شَيْئًا بلا قَيْدٍ
فَلا هَذِهِ أَحْوَالَ الدُّنْيَا
ولا هَذِهِ أَحْوَالِي
يُعَاقِبُنِي

بِلُغَاتِهِ وَتَكْوِينَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ وَأَنَاهُ الْجَاهِزَةِ
قُلْ شَيْئًا يَرُوقُ لَكَ
فَتِّشْ عَنْ مُخَيَّلاتٍ لا تَطَالُكَ
فَسَوْفَ أَفْهَمُ صِنَاعَةَ الأَسَابِيعِ
سَوْفَ أَتَفَهَّمُ الْمَشْرُوعَ الْفَائِضَ مَنَ الْحَيَاةِ
وَأَشْجَارِ الْمَتَاهَةِ السَّابِقَةِ
لَنْ أَكُونَ آخَرَ
وَلَنْ أَكْتَفِي بِالْمُشِدَّاتِ الْعَصَبِيَّةِ
تِلْكَ الَّتِي تَجْلِدُ حَيَاتِي
سَوْفَ أُمَدِّدُ الْجَلِيدَ عَلَى صَدْرِي
وَأُعَذِّبُ الْمَرْأَةَ الْحَالِيَّةَ بِالْحُبِّ
سَوْفَ أُكَوِّنُ الأَسَاطِيرَ الْمُتَوَجِّهَةَ مِنِّي
بِحَيْثُ لا يَمُرُّ شَهْرٌ دُونَ غَيْمَةٍ لِي
أَوْ سَحَابَةٍ
أَوْ شَيْءٍ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُحِبَّهُ

مُرَبَّعَاتٌ فِي الصَّمْتِ

مَنَابِتُ
مَسْئُولِيَّةُ يَدِكِ
عُرُوضٌ غَرْبِيَّةٌ لِجِهَازِكِ
حَفْلَةٌ بَعِيدَةٌ وَأُغْنِيَّاتٌ زِنْجِيَّةٌ
الْقَافِلَةُ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ
عِيدٌ أَوْ سَعَادَةٌ دَائِرِيَّةٌ
أَحْلامِي لِشَخْصٍ آخَرَ
وَأَنَا لَمْ أَبْتَعِدْ عَنِ الْمَكَانِ الْمَقْلُوبِ
أَتَقَدَّمُ فِي سَاعَاتِهِ مَعَ حَيَاةٍ مَمْنُوعَةٍ
أُرْبِتُ عَلَى كَتِفٍ حَقِيقِيَّةٍ لامْرَأَةٍ تَنَامُ
هَذِهِ مَسَافَاتٌ فَلْسَفِيَّةٌ
عُرُوضٌ لإِرْسَالِ لَيْلَةٍ لِلْعَدَمِ
فَقَضِيَّةُ الْحُبِّ تَمَّ تَأْجِيلُهَا
وَحُدُودُ الْجَلْسَةِ كَانَتْ: أَنَا
غَلايَةٌ لِقَهْوَةٍ رَدِيئَةٍ
وَكَلامٌ عَنْ كَلامٍ
صِفَاتٌ أُخْرَى لِلْمُخَدِّرِ
وَدَرْسٌ تَفْصِيلِيٌّ لِلرِّيحِ وَالْمَطَرِ
التَّمَتُّعُ بِوَصْفِ امْرَأَةٍ غَيْرِ مَوْجُودَةٍ
الدَّفْعُ بِرَجُلٍ غَامِضٍ إِلَى مُهِمَّةٍ
هَذَا لا يَتَعَدَّى عَلَى الْمَاضِي
لا يَجْرَحُ الشُّعُورَ الْقَائِمَ
فَعُذْرًا يَا شَجَرُ
عُذْرًا يَا طَرِيقُ
الْمِنْطَقَةُ الْقَادِمَةُ فَاسِدَةٌ وَمَرْدُومَةٌ
حَيْثُ سَالَتْ دُمُوعٌ كَثِيرَةٌ

وَتَمَّ قَتْلُ الصَّفِّ الأَمَامِيِّ مِنَ السِّنِينَ
كَانَ الْيَوْمُ مُخَصَّصًا لِلْغَضَبِ
لأَنَّ الْحَالَةَ الْمَسْمُوحَةَ لَنَا هِيَ الصَّمْتُ
الْجَوْلَةُ الْقَدِيمَةُ فِي الْحَيَاةِ
فَلا لُزُومَ لِلْمَاضِي
سَأُقَدِّمُكَ لِلظَّلامِ
بِحَيْثُ تَشْعُرُ بِاللَّيْلِ وَالْبَرْدِ
وَهَمَسَاتِ الْمَرْأَةِ الْمَمْنُوعَةِ
فَلا تَصْرُخْ فِي وَجْهِ السَّاعَةِ
هِيَ امْرَأَةٌ لا يَعْنِيهَا حَالُكَ
لَهَا سَاقٌ لا يُمَيِّزُهَا شَيْءٌ
لَهَا شَفَةٌ سَالِبَةٌ
وَلَهَا فِكْرَةٌ عَنْ نَفْسِهَا
وَأَنْتَ تَحُومُ مِنْ مَحَطَّةِ السَّفِينَةِ
إِلَى بَيْتٍ مَهْدُومٍ
تُفَكِّرُ فِي بِنْطَالِ دِيسْتُوفِسْكِي
وَحَمَاقَةِ عُولِيسٍ

***

سَاعَةُ الْحَائِطِ عَلَى الْحَائِطِ
عَدَّادُ السِّنِينَ بِجَانِبِي
الرِّوَايَاتُ الْقَدِيمَةُ ظَلَّتْ فِي الْبَيْتِ الْقَدِيمِ
وَأَنَا أُفَكِّرُ فِي شَجَرَةٍ عَلَى الطَّرِيقِ
يَكُونُ أَمَامَهَا بَيْتٌ مَعْزُولٌ
فِيهِ رَجُلٌ كَانَ قَدْ نَامَ بِالأَمْسِ
وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ، شَعُرَ بِالْوَحْدَةِ
وَفِي الظَّهِيرَةِ سَمِعَ صَوْتًا
فَتَحَرَّكَ بِحَذَرٍ
كَيْ لا يَتَرَاجَعَ الصَّوْتُ

مَنَاطِقُ مُحَرَّمَةٌ
(هَذَا مَا قَالَهُ اللَّيْلُ لِبَعْضِ كَائِنَاتِهِ)

-1-

عَلَى الشِّمَالِ قَلِيلا مِنْ أَرْضِ اللَّيْلِ
تَرْشُقُ شَفَتُكِ دَهْرًا مِنَ الْحُبِّ
فَلا مِنْ صَوْتٍ
تَضْطَرُّ السَّمَاءُ إِلَى طَرْدِي
أُبَالِي بِكِ
وَالصَّوْتِ الْخَافِتِ
أَتَقَدَّمُ فِي شَنْقِ حَالِي عَلَى طَرِيقَةِ الْمَاثِلِينَ لأَنْفُسِهِمْ بِاسْتِمْرَارٍ
فَيَسْقُطُ شَيْءٌ ثَقِيلٌ مِنَ الْقَلْبِ
يُحَرِّكُ الْمَلائِكَةَ وَالْغَسَقَ
ثُمَّ بِوُسْعِهِ، هَذَا الْمَنْزُوعِ مِنْ أَرْضِهِ
أَنْ يَفْتَحَ حِيطَانًا وَقُلُوبًا
يُلْقِي بِنَفْسِهِ مِنْ بَعِيدٍ
كَيْ لا يَعْثُرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ
فِي أَقْصَى هَذَا
يَتَدَافَعُ فِي نَفْسِهِ
مُتَمَرْكِزًا عَلَى ذِرَاعِ الْهَاوِيَاتِ الْعَظِيمَةِ.

-2-

أَنَا أَحُومُ
أَشُدُّ نَفْسِي عَلَى رَاحِلاتِ الْغُيُومِ وَالْقَوَائِمِ
أَضْغَطُ بِإِبْهَامِي عَلَى جِدَارِي الدَّاخِلِيِّ
لا هَذَا أَنَا

ولا هَذَا
يَتَدَفَّقُ الْحُبُّ فِي جِهَتِي
فَلا أَجِدُ شَيْئًا مِنِّي
فَقَطْ مِشْيَةٌ خَائِفَةٌ
تَدْخُلُ اللَّيْلَ بِحَذَرٍ
فَتَرْتَبِكُ بُحَيْرَاتٌ فِي جِهَازِي الْمَعْنَوِيِّ
لأَشْعُرَ بِرَغْبَةٍ فِي تَقَاسُمِ شَيْءٍ مَا
مَعَ إِحْدَى الْكَائِنَاتِ
أَنَا فِي نَفْسِ الْمَأْزِقِ
أُعَانِي أَوْ لا أُعَانِي

-3-

مَشَّاءَةً ، وَلا يَفْهَمُكِ أَحَدٌ
عَرُوسًا لِلْحَظِّ
وَالْمَدَافِنِ الْجَدِيدَةِ

-4-

هُنَاكَ عُصْفُورٌ يُغَنِّي
وَشَاطِئٌ بِأَيَّامٍ سَعِيدَةٍ

-5-

مُرُورًا بِالأَحْلامِ وَالْبَرْدِ
يَلْغُو مَعَ الْعَدَمِ وَالدَّوَافِعِ الْمُحِيطَةِ
يُقَامِرُ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ مَعَ الضَّوْءِ
هُوَ فِي اللَّيَالِي الشَّاهِدَةِ عَلَى عُصُورٍ
نَهَبَتْ مِنَ الإِنْسَانِ عَادَاتِهِ
يُقَهْقِهُ مَا بَيْنَ الظَّهِيرَةِ وَالْمَسَاءِ

لأنَّ الْبِلادَ الْحَالِيَّةَ
شَعُرَتْ بِكَمِّيَّةٍ وَافِرَةٍ مِنَ الْعَذَابِ
إِذًا، لا مَفَرَّ
سَيَنَامُ فِي نَفْسِهِ
سَيَعْزِفُ مُوسِيقَى زَائِدَةً عَنْ ذَوْقِ الْعَالَمِ
وَيَنْفُخُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
(بَحَثْتُ عَنْهُ مِنْ أَوَّلِ الْغَابَةِ
حَتَّى مَفَاهِيمِ الصَّبَّارِ)

فِي مَرْمَى الأشْيَاءِ السَّامَّةِ

-1-

حَتَّى لَوْ أَنَّهَا بُقْعَةُ ضَوْءٍ تُبَالِي
أَوْ تَهْجُمُ عَلَى الْخَاطِرِ مِنْ أَعْلَى
فَسَيَكُونُ هُنَالِكَ ظِلٌّ
أَوْ شَخْصٌ يَزِمُّ شَفَتَيْهِ عَلَى حَسْرَةٍ مَا
سَتَكُونُ صَحْرَاءَ طَوِيلَةً
لا يَرْعَاهَا اللَّهُ
أَتَتَبَّعُ فِيهَا فَصُولَ نَفْسِي
أَعَضُّ عَلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي أُحَاوِلُ أَنْ تَكُونَ هَامَّةً
وَأَقِفُ أَمَامِي
غَيْرَ صَامِتٍ وَغَيْرَ حَزِينٍ
بَلْ مَصْفُوعًا بِلَعْنَةٍ سَامَّةٍ
هِيَ الَّتِي بَلَّغَتِ التَّارِيخَ عَنِّي
هِيَ الَّتِي اقْتَسَمَتْ لِي أُنَاسًا
يُجَرِّدُونَ حَيَاتَهُمْ بِهَذِهِ الْهِمَّةِ
أَنَا الْعُشْبَةُ الضَّارَّةُ
الَّتِي لَمْ تُسْعِفْهَا السَّمَاءُ
أُمَرِّرُ الأَوْقَاتِ عَلَى جَبِينِي
لأَنَّنِي أَعْرِفُ دُرُوبًا بَارِدَةً
أَعْرِفُ جَوْعَى وَمَسَاكِينَ
حِينَ تُهَاجِمُهُمْ رَغَبَاتُهُمْ
يَلْجَئُونَ لِلظَّلامِ
أَوْ أَنَّهُمْ يَتَخَيَّلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى
وَمَا زَالَتِ السَّنَةُ قَاسِيَةً
وَتَسْنُدُ نَفْسَهَا

عَلَى الْحُرُوبِ الْجَوَّانِيَّةِ
تَخْطِمُ أَهْوَائِي بِلا نَصِيبٍ
وَأَنَا عَلَى بُعْدِ أَمْتَارٍ مِنْهَا
أُغَنِّي بِلا صَوْتٍ
أَعْبُرُ مُشِدَّاتِ الْقُرُونِ بِلا قَلْبٍ
لأَنَّنِي عَاجِزٌ عَنِ الأمَلِ
وَعَنْ تَخَيُّلِ فَرَاشَاتٍ سَوْدَاءَ
تَرُشُّ مِنْ أَجْنِحَتِهَا
أَحْلامًا تَكْفِينَي
وَكَمَا لا أَسْتَطِيعُ
فَإِنَّنِي سَأَحْبِسُ مَوَدَّتِي الْحَمِيمَةَ
سَأَرُجُّهَا عَلَى الظَّلامِ الَّذِي
أَكَلَ كُلَّ أَحِبَّائِي.

-2-

لا يَكْفِي هَذَا
وَلا يَكْفِي شَيْءٌ
إِذًا، سَأَرُشُّ نَفْسِي عَلَى الْعَالَمِ بِلا أُلْفَةٍ
سَأَجْعَلُ مِنَ اللَّيْلِ أُنْشُودَةً سَامَّةً
سَأَحْشُرُ الْحَضَارَاتِ فِي بَيْتِ بِغَاءٍ قَدِيمٍ
وَأَتَهَامَسُ مَعَ نَفْسِي عَنِ الْمَفَاهِيمِ الْغَامِضَةِ
أُسَمِّي مِنْهَا
الْحُبَّ
وَأُسَمِّي الْخَلاصَ
ثُمَّ بِلا قَيْدٍ
أُفَكِّرُ فِي الْمَنَاطِقِ النَّاقِصَةِ
وَالْجُزُرِ الْمَيِّتَةِ
مُتَقَابِلا مَعَ السَّمَاءِ
وَهِيَ تَنْتَظِرُ غُيُومًا مِنَ النَّوْعِ الرَّدِيءِ

هَذَا حَالُهَا
وَهَذَا حَالِي
لِذَلِكَ، سَأَعْكُفُ عَلَى مَضْغِ أَرْوَاحًا عَادِيَّةً
وَأَتَدَرَّبُ عَلَى شَهْقِ أَنْفَاسِي بِطَرِيقَةٍ بَطِيئَةٍ
حَتَّى لا يَسْقُطَ الْمَطَرُ
وَيَجِدَنِي وَحِيدًا.

-3-

هَذَا الاتِّجَاهُ يَغْفُو
يُثِيرُ مَخَاوِفَ الرَّجُلِ الَّذِي شَاهَدْتُ ظَهْرَهُ حِينَ اخْتَفَى
وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى شَيْءٍ
لَهُ وَجْهٌ يَحْكِي
وَفِي يَدَيْهِ مُسْوَدَّاتُ حُبٍّ
وَخَرَائِطُ حَظٍّ
نَعَمْ، أَنَا لَمْ أُكَلِّمْهُ
لَكِنَّنِي أَعْرِفُ عَادَاتِهِ
وَالْكَمِّيَّةَ الَّتِي يَنْهَشُهَا مِنَ اللَّيْلِ
وَأَعْرِفُ تَارِيخَ أَنْ بَلَّلَتْ أَعْصَابَهُ شَهْوَةُ الْقَتْلِ
فَنَشَّطَ فِي أَحْلامِهِ ذِكْرَيَاتٍ حَادَّةً
وَمُوَاسِمَ لِلْخَرِيفِ
وَلِلْمَطَرِ
إِنَّهُ لا يَنْتَعِلُ شَيْئًا
فَقَطْ يَشْتَاقُ إِلَى ظِلٍّ
يَرُوغُ مَنْ صَاحِبِهِ
يُعَرِّي أَسْنَانَهُ لِلرِّضَى وَالرَّحْمَةِ
وَيَحْلُمُ بِشَدِّ الصَّبَّارِ عَلَى نَفْسِهِ
كَانَ رَجُلا لا يَتَخَيَّلُ شَيْئًا
بَلْ يُمَشِّيهِ بِيَأْسٍ وَاضِحٍ

وَحِينَ تَشَاءُ رُوحُهُ أَنْ تَبْكِيَ
يَعْتَرِفُ بِالسَّمَاءِ
وَالْجَرِيمَةِ.

مَشْيٌ

النَّهَارُ عَلَى بُعْدِ بُوصَةٍ
يَلُفُّ أَنْفَاسًا وَمَارَّةً
لَكِنْ بِوُسْعِهِ أَنْ يَبْتَعِدَ
فَضِيقُ ذَاكَ الضَّوْءِ
وَأَنَا فِي حَاجَةٍ لِلْعُمْيَانِ وَالْكَوَابِيسِ
وَمُشِدَّاتِ الدُّهُورِ
أَنَا فِي حَاجَةٍ لِثَقْبٍ فِي الذَّاكِرَةِ
كَيْ أَمْشِيَ مَعَ الْمَجَرَّاتِ بِقَدَمٍ وَاحِدَةٍ
أَوْ أُنَادِي عَلَى حَالِي
فِي خَلاءٍ لا يُطِلُّ عَلَى شَيْءٍ
ظَلامٌ قَوِيٌّ
عُهُودٌ بِظَهْرٍ وَاحِدٍ
وَأَنَا فِي ذَاتِ الْمِشْيَةِ
أُمَارِسُ الرُّضُوضَ الْمَائِلَةَ عَلَى الْقَلْبِ
أَتَغَاضَى عَنِ الأَسْمَاءِ وَالْحُبِّ وَالْحَرْبِ
لأَنَّنِي قَابِلٌ لِلصَّمْتِ.

نَجْمَةٌ

أُفَتِّشُ اللَّيْلَ، وَأَنْحُو لِتِلْكَ الْقَاتِلَةِ
أُمَدِّدُ عَلَى فَسَاتِينِهَا رَجَّاتِ السِّنِينَ، وَشَهْقَةَ الْبَالِ
وَإِذْ لا تَكْتَرِثُ، أُنَشِّطُ فِي جَحِيمِهَا عَذَابًا يَلْتَهِمُ حَفْلَةً طَوِيلَةً بِكُلِّ رُوَّادِهَا
أَنَا عَائِدٌ فِي رُطُوبَةِ اللَّيْلِ
أَسْلَخُ مِنْ لَعْنَتِهَا شَيْئًا يُدْفِئُنِي
أُمَرِّرُهَا مِنْ نَهْدَةِ الْمَرَارَةِ إِلَى سُوقِ الْخُسْرَانِ
عَلَى أَنَّهَا تَتَنَفَّسُ بِشَكْلٍ طُولِيٍّ
وَتُغْلِقُ صَدْرَهَا عَلَى مُهِمَّةٍ مِنْ مُهِمَّاتِي الْفَاسِدَةِ
تَكْسِرُ صَوْتَهَا كَيْ لا تَقْصِدَ مَا تَقُولُ
بَلْ تَرْتَجِفُ وَهِيَ تَمِيلُ مِنَ الأَمَامِ
هِيَ لا تُحِبُّ السُّفُنَ
لا تَمْشِي فِي غَيْمَةٍ
وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، تُمَدِّدُ رُوحَهَا فِي رُوحِي
تُنَادِينِي لِلْمَنَاطِقِ الْمُظْلِمَةِ
كَيْ تَرْقُصَ أَوْ تَدْفِنَ حَيَاتَهَا
إِنَّهَا مَعِي اللَّيْلَةَ
شَاحِبَةٌ وَحَزِينَةٌ
لأَنَّ قَرَاصِنَةَ الْبِحَارِ الْبَعِيدَةِ
لَمْ يَجْعَلُوهَا فَرِيسَةَ الْعَامِ الْحَالِيِّ.

Free zone

عَنْ مُخَيِّلَتِي بَعْضُ الْمَوْجِ وَجِهَازَاتِ الْمَلَلِ
يَضْرِبُ الْهَوَاءُ جَنَاحًا يَقْصِدُ الْفَرَاغَ الْبَعِيدَ
وَأَنَا أَتَنَاوَبُ كَلامًا مَقْطُوعًا مِنْ جِهَتَيْنِ
هَذَا فِي الْمَقْهَى الْمَقْسُومِ:
قِسْمٌ لِلنِّسَاءِ وَقِسْمٌ لِلتَّارِيخِ
أَنَا أَمْلِكُ مُرَبَّعًا فِي الْفَرَاغِ
أُجَهِّزُ صَبَاحَاتٍ أُخْرَى لِحُدُوثِي
وَأَجُرُّ سَنَوَاتٍ مُتَقَابِلَةٍ عَلَى الْحَضَارَةِ الطَّوِيلَةِ
الأَبْوَابُ الْعُلْيَا لِلسَّمَاءِ وَالإِنْشَاءَاتِ
طُرُقُ الرَّفْضِ الْمُتَقَابِلَةُ
وَفِي الْمَسَاءِ يَتَعَطَّلُ التِّلْفَازُ
يَقْفِزُ صَدْرُ الْبَيْتِ فِي نَبِيذٍ مُسْتَمِرٍّ
لا وُرُودَ وَلا حَنَانَ
لا ذِكْرَيَاتٍ أَسْتَطِيعُ تَدْوِينَهَا فِي مُفَكِّرَةٍ
بُقْعَةٌ طَوِيلَةٌ فِي الشَّمَالِ
وَجْهٌ مَائِلٌ عَلَى اللَّيْلِ
وَهَذَا كَثِيرٌ
غُيُومٌ، وَاجِهَاتُ الرُّوحِ الْمُتَنَقِّلَةِ
سَاعَةُ التَّوَاصُلِ الَّتِي تَضِيعُ
حَبِيبَةُ الذَّاتِ السُّفْلَى
رَابِطَاتٌ دَاخِلِيَّةٌ لِلْكَلامِ
عُذْرًا
أَنَا لا أَتَحَدَّثُ عَنِ الْحُرُوبِ وَالْمَجَاعَاتِ
وَضَيَاعِ الإِنْسَانِ فِي مَاكِينَةِ الْعَدَمِ

أَنَا أَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِي
وَهِيَ تَدْفَعُ الظَّلام بَعِيدًا عَنْ هَذَا الْوَقْتِ
فِي يَنَايِرَ نَشْعُرُ بِالطَّقْسِ وَالنَّدَمِ
تَقَدَّمْ
هَذَا شَارِعٌ وَمَارَّةٌ
هَذِهِ حَالَةٌ فِي صُنْدُوقٍ مَعْدِنِيٍّ
لِذَا، أَتَحَدَّثُ عَنِ الْخَوْفِ وَالْخَطَرِ
أَنَا أَعْرِفُ أَسْمَاءَ النُّجُومِ وَأَسْمَاءَ الْقَمَرِ
وَحَبَوْتُ فِي حَقْلِ الرِّيحِ
أَشُدُّ حِزَامَ الثُّلاثَاءِ عَلَى بَطْنِي مُتَجَهِّزًا لِلْحَرْبِ
وَمَعَ أَنَّ الْحَوَاسَّ أَبَدِيَّةٌ
مَعَ أَنَّ حَفْلَةَ الأَنْفَاسِ جَاهِزَةٌ
إِلا أَنَّنِي كُنْتُ طِفْلا فِي يَوْمٍ مَا
وَكُنْتُ لا أَعْرِفُ أَنِّي سَأَكُونُ هَذَا الَّذِي
يَقِفُ الآنَ بَيْنَ الْبَحْرِ وَقَافِلَةِ الْغُيُومِ مُجَرَّدًا
مِنْ صِيغَةِ الأَحْلامِ وَطَابُورِ الْوَاقِعِ.
دَخَلَ اللَّيْلُ فِي غَرْبِ الْبَيْتِ لِكَيْ أَتَهَرَّبَ مِنْ
مَوَاقِفِ السَّبْتِ وَالأَرْبِعَاءِ
فَبَدْءًا مِنَ الْعَاشِرَةِ سَيَنْقَلِبُ الْغِلافُ الآدَمِيُّ
إِلَى خَشَبَةٍ حَمْرَاءَ
ثُمَّ يَقُولُ كَلامًا نَبَوِيًّا وَأَنَاشِيدَ تَصْمُدُ فِي حَقْلِ الْجَمَالِ
أَتَتَبَّعُ صَوْتًا بِمِائَةِ فَتْرَةٍ
عَالِقٌ فِي صَدْرِي وَقَدِيمٌ
الْكَلامُ صِفْرٌ
الْحَدَقَةُ مَاثِلَةٌ لِلأُفُقِ
الرُّوحُ عَرْجَاءُ وَمُسَمَّمَةٌ
هِيَ أَنَا مَعَ زُجَاجَةِ الفُودكَا وَشَجَرَةِ الْقنبِ
الدَّوَّامَاتُ الْقُصْوَى جَدِيدَةٌ وَتَدْفَعُ خَاطِرِي جَانِبًا
الأَجْزَاءُ الأَرْبَعَةُ لِلْمَرْأَةِ
حُدُودُ النِّصْفِ

الصَّدْرُ الْمُحَاطُ بِالْخَوْفِ وَالْحُبِّ
أَمْتَارٌ عَقْلِيَّةٌ
وَرَاعِيَاتُ شَهْرٍ
سَأَبْدَأُ غَدًا
عِنْدَ الْقَارَّةِ الْجَدِيدَةِ
حَيْثُ أَرْضٌ مُتَقَدِّمَةٌ فِي السِّنِّ
هُنَاكَ لَنْ أَكْتُبَ شَيْئًا
سَيَكُونُ وَقْتٌ مُتَقَابِلا عَلَى
الـ Free zone
عِنْدَهَا لا حَاجَةَ لِي بِالْحَقِيقِيَّةِ
أَوْ الشَّجَاعَةِ
عِنْدَهَا لَنْ أَرْغَبَ فِي حُبِّ امْرَأَةٍ فَائِقَةِ الْجَمَالِ
لَنْ أَرْغَبَ فِي الاحْتِفَاظِ بِعُزْلَةٍ
لَكِنْ
يَبْدُو أَنَّ هَذَا لا شَيْءَ
فَحِينَ تَبَاطَأَ طَائِرُ السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ عَصْرًا
وَهَبَطَ عَلَى إِحَدى النَّبْتَاتِ الصَّغِيرَةِ
شَعُرْتُ بِعَالَمٍ دَاخِلِيٍّ لَدَيَّ قَدْ بَدَأَ يَتَكَوَّنُ.

قَامَاتٌ مَائِلَةٌ

لَسْنَا كَمَا يَجِبُ، مَا زِلْنَا بِنَفْسِ الْهَيْئَاتِ الْقَدِيمَةِ، نَشُدُّ قَامَاتِنَا عَلَى لَيَالٍ رَدِيئَةٍ، نُلاطِفُ نِسْوَةً جَاهِزَاتٍ عَلَى طَرِيقَة التِّيكِ أَوِيه، نَحْنُ لا نَعْرِفُهُنَّ، فَقَطْ نَمُرُّ عَبْرَ أَفْكَارِهِنَّ الرَّاهِنَةِ، فَتَحْدُثُ مَا يُشْبِهُ الْعَادَةَ.

نَحْنُ نَغِيبُ فِي مَا نُسَمِّيهِ بِالْعَمَلِ الْجَادِّ وَالأفْكَارِ الْمَشْدُودَةِ مِنْ جَرَيَانِ الْحَالِ عَلَى أَحْزَانِنَا.

نَتَلافَى كُلَّ شَيْءٍ، لِنَشُدَّ انْكِسَارَنَا لِلدَّاخِلِ، فَمُعَوَّقِينَ نَحْنُ، نَتَنَقَّلُ فِي حُقُولِ الرِّيحِ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ الْحِكْمَةِ.

جِدًّا، أَمَامَنَا شَيْءٌ خَيَالِيٌّ، يُفْسِدُ عَلَيْنَا كُلَّ شَيْءٍ، يَنْهَشُنَا مَجْمُوعَاتٍ مَجْمُوعَاتٍ، ثُمَّ يَنْتَظِرُ آخَرِينَ.

الْيَوْمَ تَوَتَّرْتُ قَلِيلا مِنْ عَادَةٍ أَنْ تَتَكَرَّرَ الأعْمَالُ الَّتِي أَقُومُ بِهَا، تَنَبَّهْتُ إِلَى كَمْ تَكُونُ الثَّرْثَرَةُ جَمِيلَةٌ مَعَ مَنْ لا تَعْرِفُهُمْ، وَإِمْكَانِيَّةُ أَنْ تَتَوَازَنَ فِي وُجُودِ مَنْ لا تُحِبُّهُمْ، هَذَا وَسَتَدْخُلُ مِنْ بَابٍ مُظْلِمٍ لِتَجْعَلَ جَسَدَكَ يَغْلِي فِي مَسَافَاتِ الْغَيْبِ وَحْدَهُ، فَرَتِّبِ الطُّرُقَاتِ الَّتِي نَادَتْ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، لِتَسْمَحَ لِنَفْسِكَ بِخَرِيفٍ جَوَّانِيٍّ يَمُصُّ جُدْرَانَ الذِّكْرَى وَلَغَطِ الْحُبِّ.

مَشْدُودٌ فِي هَذَا الصَّيْفِ عَلَى يَسَارِ الْخَوْفِ، أُرَتِّبُ الأيَّامَ عَلَى هَيْئَةِ الاثْنَيْنِ وَالثُّلاثَاءِ، خِيفَةَ أَنْ أَنْفَجِرَ فِي أُمْسِيَّاتٍ سَتَهْبِطُ مِنْ سَمَاوَاتٍ غَيْرِ رَحِيمَةٍ.

صَامِتٌ لِوَحْدِي، أَفُكُّ شَفَرَاتِ الأحَاسِيسِ الْمُتَنَاقِضَةِ كَيْ أَفُوزَ بِحُلْمٍ غَيْرِ مُشَوَّشٍ أَوْ تَسِيلَ مِنِّي دُمُوعُ الْمَارَّةِ وَهُمْ يَعْبُرُونَ اللَّيْلَ غَيْرَ عَابِئِينَ بِالْجُرُوحِ الَّتِي تَحْدُثُ لِلظَّلامِ.

سَافَرَتْ هَذِهِ الْكَارِثَةُ مِنْ عِنْدِ الْمَدْخَلِ الشَّرْقِيِّ لِبَيْتِي، كَانَتْ بِجُرْمٍ أَوْ جُرْمَيْنِ، حِينَ تَوَطَّنَتْ عَلَى يَقِينِي أَعْوَامًا كَثِيرَةً. لِلتَّوِّ خَرَجْتُ لاسْتِقْبَالِ الْمَطَرِ وَالأطْفَالِ كَيْ أُهَدِّئَ مِنِ انْدِفَاعِ الْحَرْبِ فِي شُعُوبِ التِّلْفَازِ، يَحْضُرُنِي زِلْزَالٌ وَامْرَأَةٌ تَمُصُّ رَغَبَاتِ الْمَوْجُودِينَ بِلِسَانِهَا وَتَبْتَسِمُ لِمُرُورِهَا مِنَ الضَّوْءِ.

عَشِيَّةَ مَوْتٍ فِي الطَّرَفِ الآخَرِ.

عَشَّابُو التَّارِيخِ مَرُّوا بِمَوْكِبٍ إِمْبِرَاطُورِيٍّ، يَزْحَمُونَ الْجِبَالَ بِأَكْتَافِهِمْ وَيَدْهُنُونَ الأوْدِيَةَ بِنُقَاعَاتٍ مُبَوَّبَةٍ فِي الأمَمِ الْمُتَّحِدَةِ، عَلَى أَنَّهَا تَطْرُدُ الْخَوْفَ وَالْمَلَلَ وَالْجُوعَ.

كُنْتُ وَاقِفًا فِي الشُّرْفَةِ الْمُطِلَّةِ عَلَى بِلادِ اللَّهِ، أَنْتَظِرُ أَمْطَارًا تَرُشُّ الْوُدْيَانَ بِالْعُشْبِ وَالنُّخَالَةِ، فَفَلَتَتِ الْبَوَّابَاتُ الشَّرْقِيَّةُ، وَتَسَرَّبَتِ الرِّيحُ فِي صُدُورِ الْقَبَائِلِ الْمَرْكُونَةِ فِي تَقَاطُعِ الطُّرُقِ.

هَذَا مَشْهَدٌ خَيَالِيٌّ، لَكِنَّهُ يُنَاسِبُ لِتَجْرِيبِ نَوْعٍ جَدِيدٍ مِنَ السِّلاحِ النَّوَوِيِّ، الْمَكَانُ شَاسِعٌ، وَالطُّرُقُ نَاقِصَةٌ، وَالْحَرْبُ مَا زَالَتْ فِي بِدَايَتِهَا.

إِذًا، أَمَامَ الْبَحْرَيْنِ سَتُضِيفُ السَّمَاءَ، وَتَلْوِي الصَّحْرَاءَ عَلَى سَاعِدِكَ، ثُمَّ مِنْ حَقِيبَةٍ زَرْقَاءَ سَتُخْرِجُ قَامَاتٍ تَحْتَ هَذِهِ السُّحُبِ، وَتُشَاهِدُهَا وَهِيَ تَمِيلُ مِنْ جَرَّاءِ الرِّيحِ أَوِ الْوَحْدَةِ.

اتْرُكْ هَذَا لِلْمَارْكِيزِ ، وَتَعَالَ نُشْعِلْ نَارًا فِي اللَّيْلِ، وَنَسْتَحْضِرُ أَرْوَاحًا آدَمِيَّةً لِنَاشِطَاتٍ فِي الْحُبِّ، ثُمَّ نُمَرِّرُ أَحْلامًا عَلَى ظُهُورِهِنَّ لِيَشْرَعْنَ فِي غَنَاءٍ يُبَدِّدُ شُعُورَنَا بِالْوَحْدَةِ وَالْعَدَمِ.

تَقَدَّمْ أَمَامِي مَائِلَ الْهَيْئَةِ كَيْ أَتَخَيَّلَ أَعْدَاءً يُحَاوِلُونَ صَيْدَكَ،

هَذِهِ الْعَلامَاتُ الَّتِي فِي جَبِينِكَ مَرْدُودُهَا لَيْسَ لِلزَّمَنِ، بَلْ لِلأَمْيَالِ النَّاقِصَةِ تِلْكَ الَّتِي لَمْ تُجَرِّبْهَا قَدَمَاكَ.

سَأُعَالِجُ الْمَسْأَلَةَ بِنَوْعٍ مِنَ الْخَلَلِ، سَأُمَرِّرُ هُدُوءَكَ فِي عَبَثٍ رُومَانْسِيٍّ، فَأُشَكِّلُ لَكَ طَائِرًا مِنْ نَوْعٍ لا يَكُفُّ عَنِ الرَّفِيفِ.

سَأَقْذِفُ قَلْبَكَ عَلَى مُرْتَفَعَاتٍ جَبَلِيَّةٍ فِي الصَّبَاحِ، كَيْ تَقْتَرِبَ مِنْ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَتَجْذِبَ كُلَّ هَذِهِ الْمَسَافَةِ بِجَفْنِكَ الأَعْلَى.

سَتَدُورُ مَعِي نَحْوَ الظَّهِيرَةِ وَنَحْوَ الْغُرُوبِ لِتَسْمَعَ أَصْوَاتَ الْبَحَّارَةِ وَالرَّحَّالُونَ، سَتَهْجُمُ عَلَيْكَ أَفْوَاهٌ عَالِقَةٌ فِي مُقْتَبَلِ الْعُمُرِ بِقُبُلاتٍ مُتَوَتِّرَةٍ.

أَنْتَ لَسْتَ بِجِنِّيٍّ، يَلْزَمُكَ السِّلاحُ وَالرَّحْمَةُ، وَبِنَاءُ بَيْتٍ وَصِنَاعَةُ أَطْفَالٍ، فَانْتَحِ عِنْدَ ذَاكَ الرُّكْنِ كَيْ أَعْرِفَ الأَسْبَابَ الَّتِي أَعَاقَتْ جَسَدَكَ، بِحَيْثُ أَصْبَحَ مَائِلا هَكَذَا نَحْوَ الْعَذَابِ وَالْمُسْتَحِيلِ.

قُلْتَ بِأَنَّكَ شَاهَدْتَ رَجُلا فِي هَذَا الصَّبَاحِ عَاشَ مُنْذُ الْحُرُوبِ الأَوْلَى عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ، كَانَ يَتَدَثَّرُ بِغِطَاءٍ شِبْهِ إِمْبِرَاطُورِيٍّ وَيَجْرُفُ فِي يَدَيْهِ خَرَائِطَ حَرْبٍ وَغُيُومًا وَنُوقًا وَمَدَاخِلَ مُدُنٍ.

قُلْتَ إِنَّكَ نَبَّهْتَهُ إِلَى أَنَّ الأَحْدَاثَ الأَخِيرَةَ لا تَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنْ تِلْكَ الَّتِي فَقَدَ فِيهَا زَوْجَتَهُ وَبَيْتَهُ، لَكِنَّ الرَّجُلَ عَلَى حَدِّ قَوْلِك أَشَاحَ عَنْكَ دُونَ رِضًى وَوَاصَلَ تَفْنِيدَ أَشْيَاءَ فِي يَدَيْهِ.

أَنْتَ لا تَأْتِي مِنَ التَّارِيخِ وَالْجُغْرَافِيَا، أَنْتَ سَكَنْتَ إِحْدَى الْعُصُورِ وَفَقَطْ، فَحَاوِلْ أَنْ تَكُونَ سَاكِنًا بِقَدْرِ الإِمْكَانِ، لأَنَّ الأَرْضَ مَائِلَةٌ وَالْوَقْتَ مُتَأَخِّرٌ بَعْضَ الشَّيْءِ.

الْعَاطِلُونَ

سَتَكُفُّ عَنْ نَهْشِكَ الْمُوسِيقَى
سَتُمَدِّدُ رُوحَكَ لِلظُّلُمَاتِ الْعَظِيمَةِ
وَتَنْقُشُ عَلَى الْيَأْسِ شِفَاهً لِنِسْوَةٍ غَارِقَاتٍ فِي الْحُبِّ
فَمَا تَمَّ فِي حَفْلَةِ الْمُخَيّلاتِ السِّتَّةِ، لا يَنِمُّ عَنْ شَيْءٍ
أَنْتَ ضَائِعٌ فِي تَفَاصِيلَ غَيْرِ مُصَنَّفَةٍ
تُكَرِّرُ الْخُرَافَاتِ، كَيْ تُبَعْثِرَ حَيَاتَكَ
تَنْزِعُ قَمَرًا وَنَجْمَةً
لِتَرْعَى الْوَقْتَ وَعَشَاءَ الْمَلَلِ
فَكِّرْ فِي الْمُحِيطِ
وَالْجُزُرِ الْمُكْتَظَّةِ بِمَوْسِمٍ وَاحِدٍ
تَوَقَّفْ عَلَى الشُّرُفَاتِ الَّتِي لا تَتَّسِعُ لِشَيْءٍ
وَتَقَدَّمْ فِي إِثْرِ رَحَّالِينَ قُسَاةٍ
يُجَرِّبُونَ أَقْدَامَهُمْ فِي الْغَابَاتِ
وَالْحَانَاتِ الرَّخِيصَةِ
سَتَتَوَلَّى الرِّيَاحُ أَمْرَكَ
وَأَمْرَ مَنْ مَعَكَ
عَلَى أَنَّهُمْ رَحَلُوا
وَتَعَدَّيْتَ أَنْتَ عَلَى رِطَانَاتٍ مُتَدَاوَلَةٍ
فِي نِيَّةِ أَنْ تُبَدِّدَ عَصْرَكَ
أَوْ تَقْتُلَ الْحَضَارَاتِ الأنِيقَةَ
وَبلا تَوَقُّفٍ، يَحْدُثُ أَنْ تَبْنِيَ سُفُنًا وَتَتْرُكَهَا فِي الْعَذَابِ
فَأَنْتَ لا تُسَافِرُ
لا تَمُرُّ مِنْ خَنَادِقِ الْحُبِّ وَالْخَرَائِطِ
لأَنَّكَ تَتَوَقَّفُ دَائِمًا
فِي الأرْكَانِ الْمَفْسُوخَةِ
تَشُدُّ حَيَاتَكَ لأسْفَلَ

وَلا تَنْظُرُ لِلضَّوْءِ
فَبِدَايَةً، كُلُّ الأَقْدَامِ لا تَسِيرُ
كُلُّ الْجُسُورِ مَائِلَةٌ
كُلُّ الطُّرُقَاتِ الْمَنْهُوبَةِ شَدَّهَا اللَّيْلُ وَاخْتَفَتْ
ولا تَقُلْ إِنَّكَ تَنْتَظِرُ ذَاكَ الإْعصَارَ غَيْرَ الْمُتَوَقَّعِ
لا تَقُلْ إِنَّ كَوْكَبًا آخَرَ سَيَصِلُ
فَأَنْتَ فِي بَطْنِ اللَّعْنَةِ
بَارِدٌ وَتُفَكِّرُ بِشَكْلٍ طُولِيٍّ
كَيْ تَنْفِيَ مَا تَرَكَتْهُ الْمَقَاعِدُ عَلَى وَاجِهَاتِ الْبُيُوتِ
وَمِنْ حُشُودٍ مُتَعَجِّلَةٍ سَتَعُودُ
مُتَبَاطِئًا بَعْضَ الشَّيْءِ
تُمَدِّدُ الصَّحْرَاءَ عَلَى امْرَأَةٍ
لِتُخَصِّلَ مِنْ ظَهْرِهَا مَسِيرَةَ عَامٍ
صَحِيحٌ أَنَّكَ تَتَعَثَّرُ بِالْمَلائِكَةِ وَالْمَاثِلِينَ للأمَلِ
لَكِنَّكَ عَلَى بُعْدِ ذِرَاعٍ مِنَ الضِّحْكَةِ الْعَالِيَةِ
تُرَبِّعُهَا فِي شِتَاءِ رُوحِي
لِتَقْتُلَ الصُّدْفَةَ وَالْهُدُوءَ
ارْكُضْ هُنَا أَوْ هُنَاكَ
فَمَا زَالَتِ الْبِحَارُ بَعِيدَةً
مَا زَالَتِ الشِّفَاهُ لا تَمُرُّ عَلَى شَيْءٍ
وَتَشُدُّكَ الْمَلْعُونَةُ لِلتَّحَلُّلِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِكَ
لَكِنَّكَ مَعَهُمْ
تَخْتَفِي فِي الظُّلُمَاتِ
لِتَرُدَّ حَيَاتَكَ لِقُطَّاعِ الطُّرُقِ
وَالنَّاشِطَاتُ إِلَى أَسْفَلَ
غُيُومٌ لا تَزُورُ الْمَكَانَ
تُحَمِّلُهَا بِأُغْنِيَاتٍ مِنَ النَّوْعِ الرَّدِيءِ
أَنْتَ تَدْرِي أَنَّهَا لَنْ تَصِلَ لأحَدٍ
لِذَا، تُوَاصِلُ الْغِنَاءَ
مَعَ حَشْدٍ غَيْرِ بَشَرِيٍّ وَلا أَلِيفٍ

وَبِوُسْعِكَ أَنْ تُرْخِيَ نَفْسَكَ عَلَى الْمُدُنِ الْعَجْلَى
تُسَوِّيَ لَهَا أَسْوَارًا وَعُقَابًا
بِوُسْعِكَ أَنْ تَرْشُقَ الْمَوَانِئَ بِنَظَرَاتٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ
أَوْ تُغْلِقَ عَلَى أَرْكَانِكَ الْعَدِيدَ مِنَ الْجُدْرَانِ
أَنْتَ فِي ذِرَاعِ الْبِلادِ الْمَرْدُومَةِ
وَلا تَدْمَى
غَارِقٌ فِي رَقْصَةٍ تَحُزُّ فِي النَّفْسِ
وَمَشْغُولاتٍ لِوُجُوهٍ دَفَنَتْ حَيَاتَهَا عَلَى عَجَلٍ
تَقُصُّ عَلَى الطُّرُقَاتِ مَا يَحْدُثُ
يُبْعِدُكَ الشِّتَاءُ عَمَّا تَرَى
فَحَدَائِقُ الْخَوْفِ الْمُتَوَسِّطِيَةِ
كَنَسَتْ كُلَّ الْوَاقِعِ فِي بَيْتِ عَذَابٍ
أَنْتَ لا تَدْخُلُ الْجُدْرَانَ وَلا السِّنِينَ
تَجُولُ فِي قَفَصٍ صَدْرِيٍّ لامْرَأَةٍ لا تُحِبُّ
فَهَا أَنَا عِنْدَكَ
سَأُمَرِّرُ مِنْ عَيْنَيْكَ حَيَاةً جَدِيدَةً
سَأَرْقُصُ عَلَى مَرْأَى مِنْ سِنِينِكَ الْمَشْقُوقَةِ
لِتُبْحِرَ مَعِي
خَلْفَ الرِّيَاحِ الَّتِي لا تَنْتَهِي
سَأَرْكِنُ جَسَدَكَ غَيْرَ الْوَاقِعِيِّ عَلَى نَهْجَةٍ
أَوْ طَابُورِ شَرٍّ
لِتَأْكُلَكَ الْهِجْرَةُ.

فِي سِيَاقِ الرِّيحِ

أَنَا مَازِلْتُ هُنَا، وَبِاسْتِطَاعَتِي التَّدْخِينُ، وَكَذَلِكَ شَهْقُ خَيَالِي مِنَ الْمِنْطَقَةِ النَّاقِصَةِ، تِلْكَ الَّتِي خَضَعَتْ لِلتَّفْكِيرِ الطَّيِّبِ بِالنُّجُومِ، وَالْبُيُوتِ الْخَاضِعَةِ لِلتَّصْوِيرِ السَّاقِطِ مِنْ تِلْكَ الأَقْمَارِ الصِّنَاعِيَّةِ.

هَلْ أُفَكِّرُ فِي حَالِي؟

هَلْ أَشُدُّ السَّنَوَاتِ عَلَى صَدْرِي، وَأَتَعَدَّدُ مَعَ الْبُقْعَاتِ الْخَالِيَةِ مِنَ النُّورِ وَالْخُرَافَاتِ الْقَدِيمَةِ.

مَشَيْتُ كَذَلِكَ مَعَ قَلْبِي فِي سِيَاقٍ عَادِيٍّ، لأَعِيدَ النِّسْوَةَ الْمَمْنُوعَاتِ إِلَى الظَّلامِ الْكَامِلِ. كَانَ يَتَقَدَّمُ مَعِي ثُلاثَاءُ الْمَوَاسِمِ الَّتِي نَفَقَتْ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا.... كُنْتُ فِي أَقْصَى حَالِي، وَأُحَاوِلُ قَتْلَ فِكْرَةٍ مَعَ الرِّيحِ الْمَائِلَةِ.

ابْنَةُ حَرَامٍ، وَابْنَةُ كَلْبٍ، قَطَعَتَا مِنْطَقَةَ الْكَلامِ فِي صَدْرِي وَمِنْطَقَةَ الصَّمْتِ، بِحَيْثُ صِرْتُ أَفُورُ فِي تَقَاطُعِ الآفَاقِ وَغَيْرَ مَحْصُورٍ بِالأَجْرَامِ الَّتِي صَوَّرَتْهَا وِكَالَةُ نَاسَا" أَنَا لِي بِهَا كَوْكَبٌ أَوْ ثَلاثَةٌ."

صَدْرِي مَعَ الشَّهْرِ الْمَقْطُوعِ، يُتَابِعُ الْخَوْفَ وَالْحَدَائِقَ وَعَرَبَاتِ الْمَوْتِ وَالْفُصُولَ الْمُتَقَدِّمَةَ فِي الطُّرُقِ الْجَدِيدَةِ لِلْحُبِّ وَمُتَابَعَةِ الأَنَا.

مَنْ يُحِبُّ الطُّرُقَ الْمَشْهُوقَةَ مَعِي؟ مَنْ يُتَابِعُ خَيْطَ النُّجُومِ الْمَرْشُوقَ فِي صَدْرِ امْرَأَةٍ كَبِيرَةٍ فِي السِّنِّ كَانَتْ تَتَدَلَّى مِنْ خَيَالِهَا؟

أَنَا وَحْدِي وَالْجِبَالُ وَحْدَهَا، لَكِنْ لا أَمَلَ فِي التَّأَمُّلِ الْحِيَادِيِّ، ذَاكَ الَّذِي تَتَطَلَّبُهُ حَالَةُ الطَّقْسِ وَمِشْيَةُ التَّارِيخِ.

* * *

النَّهَمُ الشَّدِيدُ لِلرِّيَاحِ الَّتِي تَشْعُرُ كَمْ أَنَا مَدْفُونٌ فِي الْمَشَقَّاتِ الَّتِي تَرَكَتْهَا نَفْسِي بِدُونِ تَسْمِيَةٍ، وَبَعْضِ الْخَوْفِ الَّذِي يَتَبَوَّأُ فَصَائِلَ الْحَنِينِ الَّتِي أَكَلَهَا الْمُسْتَحِيلُ وَأَنَا أَدْرِي. يَا كَوَاكِبَ الأَعْيَادِ السَّعِيدَةِ، مُدِّي رَقَصَاتِكِ إِلَى قَلْبِي، كَيْ يَتَسَنَّى لِي عِشْقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي فِي نَفْسِي.

إِذًا مَاذَا؟

أَنْهَجُ فِي الظُّلْمَةِ الْحَالِكَةِ بلا شُعُورٍ، أَتَقَدَّمُ مِنْ بَوَّابَاتِ الزَّمَنِ إِلَى حَيْثُ لا أَجِدُ غَيْرِي وَهُوَ يَفْرُكُ الْفَرَاغَ فِي يَدَيْهِ، ثُمَّ يَعَضُّ عَلَى نَسِيجِهِ الدَّاخِلِيِّ، لِيَبْدَأَ رَقْصَةً مَجَّانِيَّةً مَعَ الْعَدَمِ الْجَاهِزِ لِتَرْتِيبِنَا فِي مُرَبَّعَاتٍ تُشَكِّلُ مَادَّةً لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ.

رُوحِي الْعَمْيَاءُ تَمْشِي فِي الشِّتَاءِ عَلَى نَحْوٍ سَعِيدٍ، تَتْرُكُنِي بِلا نِيَّةٍ أَنْ تَعُودَ وَعِنْدَمَا تَظْهَرُ الْفُصُولُ فِي أَعْرَاسِهَا السَّنَوِيَّةِ، أَخَافُ عَلَى قَلْبِي مِنَ النَّبْضِ وَالإحْبَاطَاتِ الْيَوْمِيَّةِ، فَتَعُودُ لِي، وَفِي أَسْنَانِهَا غَيْرِ الثَّابِتَةِ نَحْوَ مَا لا أَعْرِفُ عَدَدَهُ مِنَ الأَقْمَارِ الْبَارِدَةِ.

وَأَنَا جَاهِزٌ لِلتَّحْدِيقِ فِي ظَلامِكِ يَا مَفَازَاتِ الشَّرْقِ، أَرُشُّ الْقُلُوبَ الْحَارِسَةَ لِلْحَيَاةِ بِالذِّكْرَيَاتِ الَّتِي نَهَشَتْهَا الشُّهُورُ الْجَائِعَةُ.

تَعَالَيْ نَدُورُ يَا نَجْمَةَ الْحَالِمِينَ بِدُونِهِمْ... تَعَالَيْ نَصْعَدُ أَكْثَرَ مِنْ هَكَذَا، كَيْ أَرَاكِ بِدُونِ ضَوْءٍ، أَنَا الَّذِي عَبَرَتْ نَفْسِي بِالْكَامِلِ، أَتُوقُ إِلَى الأَمْيَالِ الْبَارِدَةِ، تِلْكَ الَّتِي نَفَقَتْ دُونَ اسْتِعْمَالٍ.

وَهُنَا يَا صَحْرَائِي الْمُعَلَّقَةَ فِي الْكَوْكَبِ السَّاخِنِ، لا يَنْقُصُنِي إلا طَرْدُ الأَحْلامِ مِنْ أَعْلَى كَيْ لا يَتَدَفَّقَ اللَّيْلُ عَلَى أَنْحَائِي الْمَرْخِيَّةِ فِي تَفَاصِيلَ لَيْسَتْ ذِي بَالٍ.

أَعْرِفُ أَنَّنِي غَسَلْتُ عَيْنِي بِاللَّيْلِ الأَبَدِيِّ... أَعْرِفُ أَنَّنِي قَتَلْتُ النُّجُومَ كَمَا يَجِبُ كَيْ تَعْشَقَ فَضَاءَهَا الْمَحْشُورَ فِي قَلْبِي.

أَنَا الْغَارِقُ فِي الدَّرَجَةِ النَّاقِصَةِ، أَتَصَفَّحُ جِهَازَ حَالِي دُونَ هَدَفٍ، فَتَأْخُذُنِي اللَّيَالِي إِلَى لَيَالٍ أُخْرَى، فِيهَا: أَتَدَفَّقُ دُونَ أَنْ يَمُرَّ بِبَالِي إِنْ كُنْتُ أَنَا أَمِ النِّصْفُ الْخَامِسُ مِنْ سَحَابَاتٍ مُعَلَّقَةٍ دُونَمَا مَطَرٍ.

***

أَصْحُو فِي الْقُيُودِ النَّاضِجَةِ

أَمُدُّ حَلْقِي فِي الرُّكْنِ الْعَائِمِ مِنَ الرُّوحِ الَّتِي كَنَسَتْهَا الرِّيَاحُ فِي تَقَاطُعٍ مع إِحْدَى الطُّرُقِ الْمُهْمَلَةِ. أَرْكُضُ فِي جِهَةٍ تُحَاوِلُ أَنْ تَتَدَارَكَ نَفْسَهَا. أَرُشُّ وَجْهِي بِالإِشَاحَاتِ الَّتِي ذَابَتْ فِي الْبَعِيدِ، ثُمَّ أَظْهَرُ كَبَحَّارٍ يُعَانِي مِنْ حُرُوقِ الشَّمْسِ، وَيَضَعُ يَدَيْهِ عَلَى خَشَبٍ قَدِيمٍ لِمَشْرَبٍ فِي وَاجِهَةِ السُّفُنِ الَّتِي تَهَشَّمَتْ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ. هُنَا سَتَكُونُ مَدِينَةً بَارِدَةً، سَيَكُونُ بِالإِمْكَانِ الْمَشْيُ بِدُونِ رَفِيقٍ، فَالأَشْجَارُ تَتَكَلَّمُ، وَالطُّيُورُ تَتَكَلَّمُ، وَالنَّجْمَاتُ الصَّامِتَةُ تَتَكَلَّمُ، وَأَنَا أَتَقَابَلُ مَعَ الْحَفْلاتِ الَّتِي تَتَقَاطَعُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ.

سَتَكُونُ حُجْرَةً وَبِهَا بَعْضُ الدِّفْءِ وَالذِّكْرَيَاتِ وَقَلْبِي الْمَعْضُوضِ مِنْ مَا يُقَارِبُ مِيلا أَوْ مِيلَيْنِ، سَتَكُونُ الْحِكَايَةُ السَّاخِنَةُ شَهِيَّةً وَطَازَجَةً، وَجِهَازُ التِّرَانْزِسْتُورِ وَهُوَ يَتَتَبَّعُ حُقُوقَ الإِنْسَانِ وَالْقَتَلَةَ وَبَعْضَ الأَدْوِيَةِ الَّتِي تُهَاجِمُ الشَّيْخُوخَةَ.

مِلْحٌ فِي فَمِي

صَقِيعٌ فِي رُوحِي

فَتَعَالَيْ أَيَّتُهَا الْمَخْلُوقَاتُ الْعَائِمَةُ فِي بَالِي

لَيْسَ هَذَا صَوْتًا فِي الْخَارِجِ، لَيْسَ هَذَا نَفْسَ اللَّيْلِ بِنَزْعَتِهِ الْغَابِرَةِ

فَضَاءٌ مَحْرُوقٌ هُوَ الَّذِي هَجَمَ عَلَى كَائِنَاتِي

لِذَا، سَأَتَحَرَّكُ لِلدَّاخِلِ، نَازِعًا مِنْ صَدْرِي الْحَيَاةَ الْمَقْتُولَةَ، وَأَتَرَتَّبُ فِي السَّرِيرَةِ الدَّافِئَةِ، حَيْثُ بِإِمْكَانِي مُتَابَعَةُ بَعْضِ الْهَجَمَاتِ الْمُفَاجِئَةِ مِنَ الذَّاكِرَةِ الَّتِي تُعَاقِبُنِي الآنَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

أَنَا الْمَشْدُودُ عَلَى قُطْبٍ مِنْ أَقْطَابِ الْجُغْرَافِيَا، أَحْفِرُ خَنْدَقًا فِي الرِّيحِ كَيْ يَأْوِيَنِي. فَيَا أَوَائِلِ الْفَجْرِ... يَا قَطِيعًا مِنَ الْعَلامَاتِ الْفَائِضَةِ رُدِّي عَلَيَّ.

لِيَكُنْ نِصْفُ الْمَكَانِ... لِيَكُنْ لِي صَدَفَةٌ فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي تَبْحَثُ عَنْ تِلْكَ الْحَوَائِطِ

لَمْ أَبْلُغْ تِلْكَ الْخُطُوطَ الْمَعْصُوبَةَ عَلَى ظَهْرٍ يَدْمَى... لَمْ أَتَلَمَّسِ الْعَلامَاتِ الَّتِي تَرَكَتِ انْطِبَاعًا بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَجُوزُ، لِهَذَا، سَأَصِفُ الأَيَّامَ فِي طَابُورٍ طَوِيلٍ، ثُمَّ بَلا خَشْيَةٍ، أَمْنَحُ كُلَّ يَوْمٍ قُبْلَةً غَيْرَ عَادِيَّةٍ.

حَتَّى وَأَنَا فِي شُهُورِ الْهِجْرَةِ الْمَقْصُوصَةِ سَأُغَنِّي... سَأَدْفَعُ عَرَبَاتِ الْبَاعَةِ عَالِيًا بِكِلْتَا يَدَيَّ، سَأَمُرُّ عَلَى مِخَدَّاتِ النَّوْمِ وَمُخَطَّطَاتِ الْحُبِّ وَالْكَوْمَاتِ الْحَزِينَةِ.

***

الطُّيُور مِنْ حَوْلِي لَهَا حَيَاتُهَا، وَالنِّيَامُ أَيْضًا، لِهَذَا سَأَجُرُّ حَيَاتِي خَلْفِي، وَعِنْدَمَا لا أَجِدُ الْمُدَّةَ كَافِيَةً، سَأَدْفَعُهَا لَلأَمَامِ وَأَعُودُ كَيْ أَعَضَّ كُلَّ هَذَا الْعَدَمِ.

مَعِي قَرَاصِنَةٌ سَيَمُرُّونَ مِنْ هُنَا، سَنَدْفَعُ السُّفُنَ الْحَرْبِيَّةَ لِلْغَرَقِ، سَنُهَاجِمُ الشَّوَاطِئَ صَبَاحًا كَيْ يَتَسَنَّى لَنَا دَفْنُ الْبِحَارِ فِي حَيَاتِنَا. نَحْنُ الَّذِينَ تَفَرَّقْنَا أَمْسِ، بِنَا مَا يُشْبِهُ الْحُبَّ وَاللَّعْنَةَ... بِنَا نِيَّةُ التَّشَاغُلِ بِأَظَافِرِنَا قَلِيلا.

رُوحُ الْمُقَاتِلِ الَّذِي رَافَقَنِي فِي مَأْزِقٍ، شَهِقَتْ "وَحْدَهَا" أَمْيَالا لَيْسَتْ خُرَافِيَّةً، وَشَهِقْتُ كَذَلِكَ نَصِيبَ الْكَوَاكِبِ وَحَسْرَةَ الأَرْضِ.

مِنْ هُنَا دَخَلَتْ: سَنَوَاتٌ تَأْكُلُ جِيرَانِي، نُورٌ لا يَسْتَعْمِلُهُ أَحَدٌ، رَجَّاتٌ فِي الْقَلْبِ، خُطُوَاتٌ تَضِيعُ فِي نَفْسِهَا، وَسُكُونٌ هَائِلٌ يَمْشِي عَلَى الأَرْوَاحِ الَّتِي شَاهَدْتُهَا.

أَنَا دَخَلْتُ، فَتَّشَتْ فِي السَّمَاوَاتِ الْبَادِئَةِ عَنْ عَيْنَيْنِ لِلأَبَدِ، قَسَّمْتُ الْحَيَاةَ بِشَكْلٍ طُولِيٍّ، وَمَعَ هَذَا نَبَتَتِ الطُّرُقَاتُ النَّازِحَةُ، هَبَّتْ رِيَاحٌ سَامَّةٌ وَسَحَبَتْنِي إِلَى حَيْثُ صِرْتُ الآنَ وَبِي دَوْرَةُ الأَرْضِ وَالسِّنِينَ وَالأَرْوَاحِ الْمَسْعُورَةِ.

***

أُحَاوِلُ أَنْ أَكُفَّ عَنْ قَتْلِ نَفْسِي

فَالشُّهُورُ الْمَيِّتَةُ، أَعْصِرُهَا مِنْ جَبِينِي كَيْ أَتَعَلَّمَ النَّوْمَ أَوْ أَتَعَلَّمَ نَهْشَ الْحَيَاةِ بِرُوحِي الْمَجْرُوحَةِ بِالْعَدَمِ.

بِالْكَادِ أَكْفِي لِلْكَوَابِيسِ وَإِعْدَادِ الْقَوَائِمِ الَّتِي أَكُونُ عَاقِدًا لِنِيَّةِ أَنْ لا تَكُونَ مَعِي،

فَمُرَاقَبَةُ الرِّمَالِ الْمَسْحُوبَةِ فِي قَلْبِ أَسْلافِي لا تَكْفِي

فَقَطْ تَتَحَرَّكُ عَيْنَايَ قَلِيلا

وَأُسَمِّي هَذَا حَيَاةً.

فَالدَّمْعَةُ السَّاخِنَةُ تَطْرُدُ الْكُتُبَ الْوَاقِعِيَّةَ، وَتَرُشُّ نَفْسَهَا عَلَى اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، ذَاكَ الَّذِي أُحَاوِلُ بِهِ تَأْجِيلَ حَيَاتِي.

أَنَا مَرْكُونٌ فِي إِحْدَى الضَّوَاحِي، وَأُغَامِرُ مَعَ الْمُتَضَرِّرِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، أُغَامِرُ مَعَ الْكِلابِ الضَّالَّةِ كَيْ أَشْعُرَ بِالْحَضَارَاتِ وَالْبَغَايَا وَالنُّجُومِ الَّتِي تَعِبَتْ مِنِّي.

رُوحِي مَقْصُوصَةٌ وَتُغَنِّي
تَبْنِي مَجَالاتٍ مِغْنَاطِيسِيَّةٍ لامْرَأَةٍ تَفُورُ فِي سُوقِ الْحُبِّ، وَأَنَا أَعْرِفُهَا وَأَعْرِفُ رُوحِي، لِهَذَا بَنَيْتُ عَشَائِرَ مِنَ الأرْوَاحِ الْفَاسِدَةِ، وَصَارَ لا هَمَّ لِي إلا لَصْقُ رُوحِي عَلَى كُلِّ هَذِهِ الأرْوَاحِ، عَلَّنِي أُغَنِّي.
وَسَوْفَ أُحَاوِلُ، فَرُبَّمَا تَعَثَّرْتُ بِامْرَأَةٍ قَبَّلَهَا الْمَوْتُ وَهِيَ تَسُوقُ قَلْبَهَا فِي شِتَاءٍ بَارِدٍ، رُبَّمَا فَاجَأَتْنِي عَيْنَانِ لا تَأْبَهَانِ بِالْحَيَاةِ الَّتِي قَتَلَتْنَا.
أَنَا مَا زِلْتُ أَحْمِلُ حَيَاتِي عَلَى ظَهْرِي، مُتَوَجِّهًا بِنَفْسِي لِلْغَيْضِ وَالْحَمَاقَةِ وَتَرْتِيبِ الْقُيُودِ.
***

أَنَا إِحْدَى الْكَائِنَاتِ
يُتَابِعُنِي السُّكُونُ الَّذِي يَنْتَظِرُ دَوَرَانَ الشُّهُورِ
تَنْهَشُنِي الظُّلْمَةُ الْحَالِكَةُ، تِلْكَ الَّتِي تَنْفَرِدُ بِنَا كُلٌّ عَلَى حِدَةٍ
فَلَنْ يُجْدِيَ الآنَ أَنْ أَكُونَ إِحْدَى الْوُحُوشِ الضَّارَّةِ
أَوْ فِي غَابَةٍ مَا
لِذَا أَقْتَرِحُ أَنْ أُثَرْثِرَ
وَأَعَضَّ سَاعَاتِ الْقَيْلُولَةِ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّهَمِ
سَأَشْرَبُ
غَيْرَ آبِهٍ بِمَا يَحْدُثُ الآنَ
أَوْ مَا يَحْدُثُ فِي الـ Hang Over
أَنَا فِي نِيَّتِي مُتَابَعَةُ بَعْضِ الصُّحُفِ، وَالأَخْبَارِ، وَمُجَامَلَةُ عَدِيدٍ مِنَ الأصْدِقَاءِ، وَكَذَلِكَ إِعْدَادُ مُسَوَّدَةٍ يَرْشَحُ مِنْهَا مَا تَبْقَى مِنَ الْعَالَمِ، لَكِنَّنِي أَنُوءُ بِأَعْبَاءٍ تَخُصُّ أَنْ أَتَخَلَّى عَنْ نَفْسِي فِي إِحْدَى الرِّيَاحِ غَيْرِ الْهَادِئَةِ.
***

الأَنْفَاسُ الَّتِي تَغْلِي، يُقَالُ أَنَّهَا لَيْسَتْ ذِي بَالٍ
وَأَنَا كَذَلِكَ
إِذَنْ لَنْ أُصْغِيَ لِنَفْسِي وَهِيَ تَرْتَبِكُ مِنْ جَرَّاءِ حُدُوثِي
سَأُبَدِّدُ الْوَقْتَ بِطَرِيقَةٍ لا تَرُوقُ لاحَدٍ
وَلا حَتَّى لِي
وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّنِي بَدَأْتُ أَتَدَرَّبُ عَلَى حَيَاتِي بِالْفِعْلِ، إلا أَنَّنِي لا أَمْلِكُ مَا يَجْعَلُنِي أَتَحَدَّثُ عَنْهَا حَتَّى مَعَ الْغُرَبَاءِ
قَدْ أَتَحَدَّثُ عَنْهَا لِلرِّيحِ وَبُرودَاتِ الطَّقْسِ
إِنَّنِي أَبْدَأُ التَّدْرِيبَ فَوْرَ دُخُولِي لِحُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ، أَوْ لِظُلْمَةٍ تَحْدُثُ بِغَلْقِ عَيْنِي.
آنَذَاكَ أَقُولُ لِلْجُدْرَانِ: هَذِهِ الْجُدْرَانُ

أَقُولُ لِلسَّقْفِ: هَذَا سَقْفٌ

وَأَقُولُ لِنَفْسِي: هَذَا أَحْمَدُ

أَنَا أَدْرُسُ الْوَاقِعَ، لِذَلِكَ سَأَتَحَمَّلُ الأعْمَالَ الشَّاقَّةَ، وَأَتَخَلَّى عَنْ مَسَائِلِ الشُّعُورِ وَالأحَاسِيسِ الَّتِي تَقُودُ لِلْهَاوِيَاتِ، هَذَا عَمَلا بِنَصِيحَةِ أَحَدِ الأقْوِيَاءِ فِي فَهْمِ الْحَيَاةِ

وَلأنَّنِي مَا زِلْتُ غَيْرَ قَوِيٍّ فِي الْوَاقِعِ، لِذَلِكَ أَجِدُنِي فِي مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ أُفَكِّرُ فِي أَنَّ الْحُجْرَةَ تُدَوِّخُ، أَوْ أَنَّنِي مُذنَبٌ يَسْقُطُ عَلَى إِحْدَى الْحَضَارَاتِ فَيَقْتُلُهَا.

أُفَكِّرُ فِي رِحْلَةِ النُّجُومِ الَّتِي لَمْ تَحْدُثْ، أَتَعَثَّرُ فِي غَابَاتٍ يَجُرُّهَا حِصَانٌ مَقْتُولٌ.

حَصَرْتُ الْيَوْمَ مَجْمُوعَةً كَبِيرَةً مِنَ الأشْيَاءِ: أَنَا، هُمْ، هُنَّ، الْبَابُ، الشَّارِعُ، الشَّجَرَةُ، الْهَوَاءُ، الْخَرِيفُ، الْبَحْرُ، الذَّاكِرَةُ... إِلَخْ

وَإِذ فَتَرَتْ هِمَّتِي، تَشَاغَلْتُ بِالأشْيَاءِ الَّتِي تُخِيفُنِي، مِثْلَ الْعَدَمِ إِذْ يَنْهَبُ الأَنْفَاسَ دُونَ تَفْسِيرٍ.

سَنَوَاتٌ صُلْبَةٌ

خَنَقْتُ لَيْلَةً بِكَائِنَاتِهَا وَأَعْرَاضِ الْجُغْرَافِيَا الَّتِي تَحُدُّ مُصَنَّفَاتِ السَّمَاءِ، فَتَقَدَّمَتْ مِنِّي الْكَوَاكِبُ بِرَفَسَاتِهَا الَّتِي تَوَسَّعَتْ كُلَّمَا شَقَّتْ رَأْسِي صَرْخَةٌ بَشَرِيَّةٌ، أَنَا الْعَالِقُ فِي قُطْبٍ مِنْ أَقْطَابِ الزَّمَنِ، هَبَطَتْ فِي بِلادٍ مِنَ الْحَسَرَاتِ الْمُلَثَّمَةِ، وَدَخَلَتْ فِي عِقَابِ السِّنِينَ.

وَجَاهِزٌ لِسَحْبِ يَدِكِ يَا صَدِيقَةً لِصَدْمَةِ الْحَنَانِ، جَاهِزٌ لِمُتَابَعَةِ مُقْتَنَيَاتِكِ الْجَدِيدَةِ وَالإنْصَاتِ طَوِيلا لِفِكْرَتِكِ الْمُخْتَلَّةِ عَنِ الْعَالَمِ، لَكِنَّ هُدُوءَكِ وَنَشَاطَ التَّوَازُنِ فِيكِ دَفَعَنِي لِلصَّمْتِ الْعَاجِزِ وَتَرْوِيضِ عَيْنَيْكِ فِي وَرْطَةِ الرَّحْمَةِ وَالْكَوَارِثِ.

أَنْتِ بِشَامَةٍ عَلَى صَدْرِكِ الأيْسَرِ تُحَاوِلِينَ فِي الْمُمْكِنِ مِنْ غَرَائِزِ جِيلِكِ، وَأَنَا أَحْصُدُ الْمَنَاطِقِ الَّتِي خَلَّفَتْهَا الْحُرُوبُ عَلَى مُخَيِّلَةِ حَيَاتِكِ.
كَانَتِ الظَّهِيرَةُ، وَكُنْتُ بِلا مُطْلَقٍ، لِذَلِكَ قَبَضْتُ عَلَيْكِ لِتَأْخُذِي مِنِّي هَذِهِ الْعُصُورَ الْمَحْشُورَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكِ، تِلْكَ الْكَائِنَاتُ الَّتِي شَاخَتْ فِي كَفِّ السَّنَوَاتِ الصُّلْبَةِ، فَتَبَسَّمِي لأنَّ الذِّكْرَيَاتِ هَجَمَتْ عَلَيْكِ أَيْضًا.

مُهِمَّتُكِ الْكَبِيرَةُ أَنْ أَكُونَ بِحَوْزَتِكِ وَمُهِمَّتِي كَذَلِكَ، لَكِنِ اتَّفَقْنَا عَلَى إِشَارَةٍ تَنْقُصُهَا الْحِكْمَةُ وَبَعْضُ الْوَاقِعِيَّةِ.

الْيَوْمَ أَنَا فِي جِهَةِ الشَّرْقِ أَصِفُّ صَحْرَاءَ فِي مُقَابِلِ صَحْرَاءَ، أَتَصَادَفُ مَعَ شَائِعَاتِ الْحَرْبِ وَالسَّلامِ وَكُلْفَةِ الْمَعِيشَةِ وَحُقُوقِ الْمَرْأَةِ وَرِطَانَاتِ السَّاتَالايتْ وَأَحْلامِ الْعَوْلَمَةِ.
نَعَمْ مَشَيْتُ مِنْ جِهَةِ الْعَالَمِ إِلَى عَادَاتٍ سَيِّئَةٍ، وَأَشَارُوا عَلَيَّ بِالتَّقَدُّمِ فِي نَفْسِي طَوِيلا كَيْ أَكُونَ مُفِيدًا، فَعَجَزْتُ، وَاهْتَدَيْتُ إِلَى اللَّعْنَةِ الَّتِي سَكَنَتِ الإنْسَانَ مُذْ كَانَ جَاهِزًا لِلأرْضِ.

فَتَعَالَيْ إِذَنْ بِقُمْصَانِكِ الْغَالِيَةِ، تَعَالَيْ بِمِشْيَةِ الْفِيدْيُو كِلِيب، كَيْ أُعَاقِبَ حَيَاتِي بِكِ، أَوْ أُشِيعَ فِي حَافِظَةِ قَلْبِكِ السَّعَادَةَ الَّتِي تَلَفَّظْتِي بِهَا مَرَّاتٍ عَدِيدَةً، فِي حِينِ كُنْتُ مُوَافِقًا وَالْحَقِيقَةُ لا أَفْهَمُهَا (السَّعَادَةُ).

أُحِسُّ بِقُيُودٍ، وَأَنْتِ إِحْدَاهَا، وَفَاتَحْتُكِ فِي سِرِّي كَيْ لا أَكُونَ فَظًّا مَعَ كَوْنِكِ امْرَأَةً تَفْهَمُ الْحُبَّ بِطَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ بِكِ، لَكِنَّ عَلَيَّ الآنَ أَنْ أَكُونَ مُنْصِفًا بَعْضَ الشَّيْءِ، عَلَيَّ أَنْ أَعَضَّ عَلَى مَقَابِضِ الأرْضِ، وَأَتَقَدَّمَ مَعَ الْغُزَاةِ إِلَى كَوْكَبٍ هَجَرَ الْمَجَرَّاتِ مَعَ السَّنَوَاتِ الأخِيرَةِ.

نَعَمْ هَذَا غَيْرُ مُنْصِفٍ، لَكِنَّ الشُّعُورَ بِهِ يُشَابِهُ شُعُورَكِ وَفِكْرَتَكِ عَنِ الْحُبِّ، وَأَنَا لَنْ أَكُونَ هُنَاكَ وَحْدِي، سَأَرْكِنُ صَدْرِي عَلَى الشَّمْسِ كَيْ لا يَطَالَنِي اللَّيْلُ أَوْ تَنْهَشَنِي الظُّلْمَةُ الْمَعْرُوفَةُ.

تَدَفَّقْتُ مِنْ لَيْلَةِ الأَمْسِ فِي خَمْسِ بِحَارٍ وَمُحِيطٍ وَتَمَدَّدْتُ عَلَى شَوَاطِئَ تَغَصُّ بِمُسَافِرِينَ عِظَامٍ، كَانَتِ الإِذَاعَاتُ مَا زَالَتْ تُرَوِّجُ لِحَيَاةٍ أَفْضَلَ، لِذَلِكَ شَارَكْتُ فِي عَرْضٍ طَوِيلٍ عَنْ مَلَذَّاتِ الْحَيَاةِ.
وَرَقَصْتُ بِكُلِّ أَحْوَالِي مَعَ قَرَاصِنَةِ الْعَصْرِ الْحَالِيِّ وَالْمُتَقَابِلِينَ عَلَى شُئُونِ الإِنْسَانِ وَرَحْمَةِ الأَرْضِ.
لَكِنْ، أُفِيقُ: ذَهَبَ الْعَالَمُ مِنْ حَوْلِي
عَلَيَّ أَنْ أَعْصِبَ عَيْنِي
دَمْعَةٌ انْجَرَفَتْ لِغِيَابِكِ، هُدُوءٌ يَمُرُّ فِي تَوْقِيتِكِ وَأَنَا أُشَاهِدُ حَشْدًا بَشَرِيًّا يَهْجُمُ عَلَى مُتَطَلَّبَاتِهِ الْحَالِيَّةِ، لِذَلِكَ تَوَقَّفْتُ خَارِجَ الظُّلْمَةِ وَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي، لا لِكَيْ يَسْمَعَنِي أَحَدٌ، بَلْ لِكَيْ أُثْبِتَ لِضَوْضَاءِ الْكَوَاكِبِ أَنَّنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أُحْدِثَ صَوْتًا كَذَلِكَ مِثْلَهَا، فَهَاجَمَتْنِي أَسْرَارِي بِاعْتِرَاضٍ شِبْهِ عَنِيفٍ كَيْ أَفْهَمَ أَنَّ هَذَا يَتَعَارَضُ مَعَ طَرِيقَتِكِ فِي الْحُبِّ.
لَكِنْ، تَعَالَيْ لأَنْقُلَ إِلَيْكِ مُهِمَّةً جَدِيدَةً مِنْ مَهَامِّي غَيْرِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكِ
تَعَالَيْ وَأَنْتِ بِنَفْسِ الْمَلامِحِ وَالتَّدْرِيبَاتِ السَّيِّئَةِ، افْصِلِي ذِرَاعَكِ الأَيْمَنَ عَنْ ذِرَاعِي وَارْكُنِي إِلَى مُرَبَّعِ الضَّوْءِ بِرُسْغِكِ، ثُمَّ عَضِّي عَلَى هَذَا الظَّلامِ فِيكِ وَلا تُرَاقِبِينِي وَأَنَا أَتَجَوَّلُ فِيهِ بِدُونِ وُجْهَةٍ أَوْ دِرَايَةٍ مُسْبَقَةٍ.
طَبْعًا سَوْفَ تَصْدُرُ مِنْكِ تَنْهِيدَةٌ أَوْ ضَجَّةُ صَوْتٍ، وَسَوْفَ لا أَعْتَرِضُ عَلَى حَنِينِكِ لِجِهَةٍ تُشْبِهُ جِهَةَ الْبَابِ أَوِ الْمَمَرِّ الْمُضَاءِ بِنُورٍ خَفِيفٍ أَوْ إِحْدَى الْقُبَلِ الْمَمْزُوجَةِ بِالرَّغْبَةِ، لَكِنْ سَأُوَاصِلُ مَزْجَكِ مَعَ غَيْبِيَّاتِي وَتَقْسِيمَكِ عَلَى أَنْحَاءٍ لا تَخُصُّك بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، وَعِنْدَمَا تَتَنَبَّهِينَ إِلَى أَنَّ الْفَاصِلَ بَيْنَ صَدْرِي وَصَدْرِكِ يُنَاهِزُ الْمَسَافَةَ بَيْنَ كَوْكَبٍ أَوِ اثْنَيْنِ، سَوْفَ لا تَسْتَغِيثِي، بَلْ سَيَهْبِطُ عَلَيْكِ سُكُونٌ غَيْرُ مَفْهُومٍ، وَسَوْفَ تُنَاصِفِينَنِي الصَّمْتَ وَاللَّذَّةَ.
سَأَلْتُكِ الْيَوْمَ عَنْ الانْزِعَاجِ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَى وَجْهِكِ عِنْدَمَا أُحَدِّثُكِ عَنِ الَّذِي ظَلَّ فِي حَيَاتِكِ، فَلَمْ تُجِيبِي، لِذَلِكَ صِرْتُ قَرِيبًا مِنْكِ أَكْثَرَ، لأَنَّنِي بِحَاجَةٍ لِقُبْلَةٍ غَيْرِ مُهْتَمَّةٍ لِمَا يُحْدِثُهُ فِينَا الْمَاضِي مِنْ جَرَائِمَ.
لَكِنْ تُصِيبُكِ انْتِكَاسَاتٌ عُظْمَى، فَتُثَرْثِرِينَ عَنْ كَيْفَ أَنَّك تُحْدِثِينَ الْفَوْضَى فِي طُرُقَاتِ الْعَالَمِ وَالْجَبَهَاتِ الأَمَامِيَّةِ.
لَقَدْ كُنْتُ قَاسِيًا مَعَكِ لأَنَّكِ جَمِيلَةٌ، وَتُجِيدِينَ مَسْحَ حَيَاتِكِ كُلَّمَا اقْتَضَى الْحَالُ، لَكِنْ تَعَالَيْ نَشُدُّ عَصْرًا أُسْطُورِيًّا أَمَامَنَا لِكَيْ أَتَفَرَّغَ لِلشُّعُورِ بِالْوَحْدَةِ، وَتَتَفَرَّغِي لِلشُّعُورِ بِأَبْنَائِكِ.
كَيْفَ نَفْعَلُ فِي الأَرْضِ؟ سَأَلْتِ

....

كَيْفَ نُحَدِّثُ مَعَ كُلِّ هَذَا الْبُغْضِ؟

....

كَيْفَ وَكَيْفَ؟

......

أَرَى أَنَّكِ أَقْبَلْتِ عَلَى النَّوْمِ، لِذَا سَحَبْتُ غِطَاءَ الْبَرْدِ عَلَى ظَهْرِكِ وَخَرَجْتُ رَاكِضًا إِلَى مَفَاتِنِ الْوَحْدَةِ وَالطُّرُقَاتِ الْغَائِبَةِ.

مَشَيْتُ فِي حَذَرٍ كَيْ لا أُزْعِجَ صَدِيقِي الْمُتَعَامِدَ عَلَى مِشْيَةِ التَّارِيخِ وَالرِّوَايَاتِ الْمُرَوَّجَةِ، لَكِنْ تَبَادَلْنَا كَلامًا عَنِ الطَّقْسِ وَالْوَضْعِ الرَّاهِنِ وَأُعْجِبْنَا بِطَرِيقَةِ السَّرْدِ عِنْدَ كُونْدِيرَا وَصَمَتْنَا لِلرُّعْبِ الَّذِي وَلَّدَهُ رَامْبُو لِلشِّعْرِ، ثُمَّ فَكَّرْنَا أَنْ لا نُضِيفَ لِلْعَالَمِ شَيْئًا.
هَذَا يَحْدُثُ أَحْيَانًا، وَأَحْيَانًا أَسُوقُ حَرْبًا بِدُونِ فَيَالِقَ ولا أَسْلِحَةٍ، أَرْفَعُ نَفْسِي مِنَ الْوِسَادَةِ كَيْ أَزْرَعَ الْقَنَابِلَ وَأَجْرُدُ مُحْتَوَيَاتِ الْعَالَمِ فِي نُفَايَاتٍ سَتَحْدُثُ.
أَنَا لا أُحِبُّ الْمَصَانِعَ وَلا الطَّائِرَاتِ
لا أُطِيقُ الْحُبَّ مِنْ طَرَفٍ وَاحِدٍ
يَحْدُثُ أَنْ أَهْتَمَّ بِفِكْرَةٍ مَهْدُومَةٍ، وَأَتَشَاغَلَ بِالْخَوْفِ الْقَادِمِ عَلَى أَصْدِقَائِي مِنْ جِهَةِ الْغَيْبِ.

رَجَاءً أَبْعِدُوا الْقُبُورَ لِنَحْيَا قَلِيلا

- 1-

الْفَجْرُ يَحْتَاجُنِي
لِيَعْطَشَ.

-2-

الْكَوَاكِبُ الَّتِي مَرَّتْ بِالأَمْسِ
رَأَتْنِي.

- 3 -

عَصِيرٌ آيُونِيٌّ
يُقَشِّرُ وَجْهَ الأَرْضِ
لِتَذُوبَ الشُّعُوبُ قَاطِبَةً
تَتَبَدَّلُ أَحْلامَها بِأَحْلامِي
أَنَا الْمَنْزُوعُ مِنْ جَاذِبِيَّةِ الْكَوَاكِبِ
النَّافِرُ مِنْ مَدَارِ السَّرَطَانِ
أَنْهَشُ الظَّلامَ كَكَلْبٍ مَسْعُورٍ
وَأَنْهَجُ
مُحَمْلِقًا فِي غُبَارِ النُّجُومِ
وَالْجِهَازِ الْقَاسِي
هَذَا الَّذِي أَنَا فِيهِ.

- 4 -

لَنْ أَخْرُجَ اللَّيْلَةَ
فَفِي الْخَارِجِ أَعْبَاءٌ
تَدَرَّبَتْ عَلَى انْتِظَارِي
إِذَنْ

سَأَحْفِرُ خَنْدَقًا طُولِيًّا
يُشْبِهُ جَسَدِي
وَأُشْبِعُهُ بِمَادَّةٍ سَامَّةٍ
ثُمَّ أَنْدَرِجُ هُنَاكَ
تَحْتَ قَائِمَةٍ
أَعَدَّهَا اللَّهُ بِتَمَعُّنٍ شَدِيدٍ.

– 5–

رَعْشَةُ شَفَتَيْكِ
لَيْسَتْ مِنَ الْحُبِّ
وَلَيْسَتْ مِنَ الأُفُقِ
إِنَّهَا حِكَايَتُنَا الَّتِي
لا نَعْرِفُ.

– 6 –

سَأَجُرُّ نَفْسِي فِي الْمَصْنَعِ
وَتَحْتَ عَجَلاتِ الْقِطَارَاتِ الْحَدِيثَةِ
سَأَصْعَدُ فِي الأَسَانْسِيرَاتِ
إِلَى الأَبْرَاجِ الْعَالِيَةِ
وَمِنْ عَلَى نَاطِحَاتِ السَّحَابِ
سَأَبْصُقُ عَلَيْكُمُ الظَّلامَ.

– 7 –

صَدْرِي عَلَى شِتَاءٍ بَارِدٍ
وَعَقْلِي يَحُومُ
الرُّعْبُ الَّذِي يُحَاوِرُنِي مُتَمَدِّنٌ
يُشَاغِلُ النُّجُومَ كَذَلِكَ فِي إِمْكَانِيَّةِ
أَنْ يَكُونَ رُومَانْتِيكِيًّا

التُّرُوسُ الَّتِي فَهِمَتْ
أَحْشَائِي نَافِعَةٌ
سَنْتِيمِتْرَاتٌ وَأَشْعُرُ بِحَلْقِي
الَّذِي يَدْفَعُ أَعْمِدَةَ النَّابَالْمِ
وَخَزَائِنَ السِّلاحِ الذَّرِّيِّ
حَيْثُ مَا زَالَتْ بِي رَغْبَةُ
النَّفَاذِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ
أَوْ نِصْفِهِ عَلَى الأَقَلِّ
وَالْعُبُورُ إِلَى مَنَابِتِ الرِّيَاحِ
أَعْوِي مَعَ بَنَاتِهَا
فِي اللَّيَالِي الْمُظْلِمَةِ
وَحَتَّى إِنْ صَادَفَتْنِي الْغُيُومُ
سَأَكُونُ بلا رَغْبَةٍ فِي
الْحُبِّ
لأَنَّ الشُّهُورَ النَّاشِئَةَ بِمُفْرَدِهَا
مَشْغُولَةٌ بِأَعْمَالِ الْبِيئَةِ
وَتَنْشِيطِ الْوُجُوهِ
الَّتِي أَصَابَهَا الزَّمَنُ.

- 8 -

لَوْ أَنَّكِ امْرَأَةٌ لِلْحُبِّ
لَكَانَتْ لَك رُوحٌ
أَمْضُغُهَا.

-9-

الْبَاحَاتُ الْمَرْكُونَةُ
عَلَى نَفْسِي
لَيْسَتْ بِهَذَا السَّخَاءِ
فَالسَّمَاءُ تَتَحَرَّكُ
وَالْحُبُّ يَتَحَرَّكُ

وَأَنَا أَسِيلُ
مِنْ جِهَازِي الْغَائِبِ
لأُعَبِّئَ الْفَرَاغَ
بِتَهَيُّؤَاتٍ عَارِضَةٍ
أَوْ أَنَّنِي أَفْقِدُ تَوَازُنِي الْحَقِيقِيَّ
فَأَلْجَأُ لِلصَّمْتِ
حَيْثُ أَمْطَارُهُ السَّامَّةُ
تُنَظِّفُ الْعَالَمَ.

-10-

أَنَا فِي حَشْدٍ مِنَ الْعُمْيَانِ
نَمْشِي
فَمَا الَّذِي يَصِيرُ؟

-11-

وُجُوهٌ تَالِفَةٌ
تَنْتَظِرُ أَيَّامَنَا.

-12-

الشَّجَرَةُ الْمَزْعُومَةُ
لا تَنْتَظِرُ إِلا الْفُصُولَ.

-13-

أُحِسُّ بِشَيْءٍ..

-14-

لَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ
أَنْ أَحْكِيَ عَنْ حَرَارَةِ نَفْسِي
وَلَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ
أَتَتَبَّعَهَا
وَهِيَ تَرْدُمُ التَّارِيخَ

وَالْقَارَّاتِ
إِنَّنِي بِمَعْزِلٍ عَنْهَا
أَتَأَمَّلُ كُلَّ مَا يَحْدُثُ
لَكِنْ
بِتَوَتُّرٍ شَدِيدٍ.

-15-

مُنْذُ أَنْ عَرَفْتُ بِأَنَّنِي ابْنٌ لِلرِّيحِ
عَمِلْتُ جَادًّا عَلَى إِتْلافِ أَعْصَابِي
حَشَرْتُ رُوحِي فِي الْعَظْمِ السَّابِعِ
وَصِرْتُ أُفَتِّشُ بلا حَمَاسٍ
عَنْ يَدٍ سَاخِنَةٍ
لَكِنَّ الآفَاقَ بِجَفْلاتِهَا الْكَرِيهَةِ
كَانَتْ مُتَمَكِّنَةً مِنِّي
بِحَيْثُ كَانَتْ تَتَدَرَّبُ
عَلَى أَنْفَاسِي كُلَّ صَبَاحٍ.

-16-

بِلا نَقْلَةٍ نَوْعِيَّةٍ
أَتَدَرَّبُ عَلَى خَدْشِ السَّمَاءِ
مُؤَجِّلا كُلَّ أَعْمَالِي الْهَامَّةِ
حِينَ تُفَاجِئُنِي بِتَفَاصِيلِهَا الشَّحِيحَةِ
إِنَّنِي فِي مَأْزِقٍ صَامِتٍ
أُعَبِّئُ النُّجُومَ فِي قِدْرٍ يَغْلِي
وَأَسْعَى كَمَا لَوْ كُنْتُ بِدُونِي..
أُرَاقِبُ الظَّلامَ فِي حُفْرَاتِهِ الْعَمِيقَةِ
أَتَدَلَّى مِنْ بَوَاعِثِي التَّالِفَةِ
كَيْ أَنْجُوَ إِلَى هَلاكٍ جَدِيدٍ.

-17-

اسْتِنَادًا لِلابْتِعَادِ الْهَائِلِ عَنْ
مَفَاهِيمِنَا
اسْتِنَادًا لِفُرْجَةِ الْحَيَاةِ عَلَى
مَا تَبَقَّى مِنَّا
سَأَشْعُرُ بِمَا هُوَ لَيْسَ ضَرُورِيًّا
سَأَشْهَقُ مِنَ الصَّقِيعِ امْرَأَةً
كَامِنَةً فِي عَقْلِي الْبَاطِنِيِّ
وَأَتْرُكُ سَنَوَاتِي الْحَارَّةَ
عَلَى الطُّرُقَاتِ الْبَارِدَةِ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ
ثُمَّ أُعِيدُ النَّظَرَ فِي نَوَايَايَ
"لَيْسَ مِنْ حَيْثُ إِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً أَوْ حَسَنَة"
مُتَعَمِّدًا أَنْ لا أَمُرَّ بِشَيْءٍ
بَلْ أَمَضْغَهُ بِشَهِيَّةٍ
غَيْرِ إِنْسَانِيَّةٍ.

-18 -

مَا الَّذِي يَحْدُثُ؟
جَلَبَةٌ غَيْرُ مَفْهُومَةٍ...!

-19 -

مِنْ مُنْطَلَقِ أَنَّنِي فِي الأَحْلامِ الرَّهِيبَةِ
مِنْ مُنْطَلَقِ أَنَّنِي عَارِفٌ بِالطَّقْسِ
وَنَوَايَا الشُّهُورِ
أُحَاوِلُ تَحْدِيدَ النُّقْطَةِ الَّتِي
أَكَلَهَا جَسَدِي
لَكِنَّنِي لا أَسْتَطِيعُ
لِذَلِكَ -غَالِبًا- مَا أَعُودُ
إِلَى تَفَحُّصِ ظَلامٍ دَاخِلِيٍّ
يَسْتَأْسِرُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

الْمُرُورُ بلا كَيْفِيَّةٍ

آهٍ يَا أَعْمَاقِي الْمَرْدُومَةَ
يَا بُقْعَةَ الْفَرَاغِ الَّتِي تَأْكُلُنِي
وَأَنَا أُغَنِّي فِي الطَّرِيقِ إِلَى قَلْبِي الزَّائِدِ
قَابِضًا عَلَى حَسْرَةٍ أَوْ حَسْرَتَيْنِ
وَشَاعِرًا بِمَا لا يُرْضِينِي
حَيْثُ فَرَاغٌ يَشُدُّ فَرَاغًا
خَطَرٌ يَبْنِي خَطَرًا
لأَنَّنِي نَزَعْتُ الأَرْضَ عَنْ ظَهْرِي
وَقَذَفْتُ نَفْسِي فِي سَمَاءِ اللَّعْنَةِ
مَعَ الأَحْلامِ وَنَوْبَاتِ الْوَعْيِ الرَّدِيئَةِ
أَتَقَدَّمُ فِي الأَجْزَاءِ التَّالِفَةِ مِنِّي
فَتَتَوَتَّرُ الأَبْوَابُ الْمُغْلَقَةُ
تِلْكَ الَّتِي تَأَخَّرَتْ
أُعَالِجُهَا بِرُوحِي الْمَتْرُوكَةِ عَلَى حِزَامِ
كَوْكَبٍ بَارِدٍ
فَيَنْهَارُ ظَلامٌ بِحَدِيقَةٍ
أَتَدَارَكُهَا مَعَ إِحْدَى دُمُوعِي
وَأَسْقُطُ
حَيْثُ لا غُيُومَ وَلا سَمَاءَ تَخُصُّنِي
وَعِنْدَمَا أُرَانِي نُقْطَةً فِي اللا نِهَايَةَ
أَكُونُ مُتَفَرِّجًا حَقِيقِيًّا
يُمَرِّرُ الأَرْضَ مَنْ ثُقْبٍ فِي عَيْنَيْهِ
لِيَرَى:

شَارِعٌ يَمْضُغُ الْمَارَّةَ.. نِسَاءٌ مَدْهُونَاتٌ بِأَعْصَابٍ نِيئَةٍ.. حُرُوبٌ مِنَ النَّوْعِ الإِنْسَانِيِّ تُبَحْلِقُ فِي ظَهْرٍ مُنْحَنٍ.. مَرَّتِ الصَّبَاحَاتُ عَلَى وَجْهِي بِلا عَدَدٍ، وَتَرَاخَتْ أَعْدَادٌ لا حَصْرَ لَهَا مِنَ الْحَضَارَاتِ التَّالِفَةِ عَلَى قَصْدِي، فَفَكَّرْتُ فِي التِّقْنِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ، عَثَرْتُ عَلَى بُصَاقِ اللَّيْلِ وَأَوْعِيَةِ النَّشَاطِ الْجِنْسِيِّ. مَرَرْتُ سَرِيعًا عَلَى جُنُودٍ يُمَرِّرُونَ أَيَّامَهُمْ لِلْخَوْفِ. سُفُنٌ تَأْخُذُنِي لِمُحِيطٍ هَائِجٍ، أُمَرِّرُ ظَلامَهُ عَلَى جَبْهَةِ امْرَأَةٍ فِي الْوَاقِعِ، فَتَضْحَكُ بِلا قَيْدٍ ثُمَّ تَمُدُّ جِهَازَهَا الأُنُوثِيَّ إِلَى أُسْطُورَةٍ غَيْرِ مَعْرُوفَةٍ لِتَسْبِقَ أَيَّامَهَا الْمُمِلَّةَ. فِي الصَّحْرَاءِ مَنَعَتِ الآفَاقُ وَجْهَهَا، صَارَتِ السَّمَاءُ تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ، فَتَتَبَّعْتُ الرِّيحَ الْمِسْكِينَةَ حَتَّى عُدْتُ. مَشَيْتُ بِلا سَبَبٍ، فَتَوَجَّهَتِ الذِّكْرَيَاتُ إِلَى عَقْلِي، قَتَلْتُهَا كَمَا يَجِبُ وَدَهَسْتُ خَرَائِطِي الشَّخْصِيَّةَ عَلَى إِحْدَى الأَرْصِفَةِ النَّائِمَةِ فِي الْبَرْدِ، لِذَلِكَ شَعَرْتُ بِالضَّوْضَاءِ الْمَرْكُونَةِ فِي الأَيَّامِ الْعَامِلَةِ. تَدَلَّيْتُ فِي الأَقَاصِيصِ الْمَتْرُوكَةِ عَلَى أَسِرَّةِ النَّوْمِ، فَتَهَتَّكَ قَلْبٌ دَاخِلِيٌّ لامْرَأَةٍ تُدَلِّلُ نَفْسَهَا بِلا أَمَلٍ. الأَصْدِقَاءُ عَادُوا إِلَى شَوَارِعِهِمْ، وَالْمَوَاعِيدُ الدَّقِيقَةُ فِي الْمَطَارَاتِ نَامَتْ، وَأَنَا لا أَجِدُ الْبَابَ الْحَقِيقِيَّ لِلَّعْنَةِ الَّتِي تَرَكَتْنِي فِي هَذَا الرُّكْنِ.

قُدَّاسٌ

التَّفْكِيرُ الطَّيِّبُ فِي خَوَاطِرَ حَسَنَةٍ، لَمْ يَعُدْ
بِالإِمْكَانِ
لَمْ يَعُدْ لأَسْنَادِ رَأْسِي عَلَى كَفِّي أَيُّ
مَعْنًى
لَمْ يَعُدِ الْجَانِبُ الآخَرُ مِنْ مُهِمَّاتِي
مُمْكِنًا
... فِعْلُ دُوخَاتٍ شَارِبَةٍ
دَوَاخِلُ مُتَقَابِلَةٌ هِيَ الَّتِي تَتَعَقَّبُ عَقِيرَةَ
نَفْسِي
تَرُصُّ نُبْذَاتٍ مِنَ الْحَنِينِ عَلَى قُدَّاسِ قَلْبِي
وَتُمْعِنُ فِي الرَّفْسِ
هَكَذَا نَبَتَ الْقِسْمُ الأَيْسَرُ فِي حَالِي
هَكَذَا تَدَوَّرْتُ فِي الظُّلُمَاتِ حَتَّى أَصْبَحْتُ
مَفَرًّا لِنِسْبَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الصَّمْتِ
مَفَرًّا لِنُقْطَةٍ مَدْفُوعَةٍ بِلا مَعْنًى
لأَنَّنِي شَاخِصٌ فِي عُرُوقِ يَدِي
أَعدُّ اللَّيَالِيَ.

المحتويات